

الحجاب هَوِيَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ

بقلم

خالد البغدادي

- أريد القول بأنك أسأت التعبير في كلامك السابق في عدة مواضع منه فإنك أولاً لم تعرفي طبيعة الامتثال للأوامر الإلهية في الشريعة ، فإن الأمر الواجب هو ما يجب على المكلف فعله ولا رخصة له في تركه بل يعاقب ويأثم على عدم فعله ، والحجاب واجب على المرأة وهذا ظاهر في النصوص الشرعية بل يعد وجوبه ضرورة من ضرورات الدين ، ومعنى كلمة ضرورة أي أن وجوبه على المرأة من الأمور الواضحة عند المسلمين .

وثانياً أنك قد حصرت الإيمان بالله في نطاق ضيق جداً من التطبيق وهو أدائك للصلاة فقط ، هذا على فرض أدائك لها بشكل صحيح ، في حين أن الإيمان بالله يستلزم تطبيق كل ما علمت صدوره من أوامر من قبل الله عز وجل .

ثم بعد ذلك ذكرت أن النية مقرونة بالعمل ، وأنت في واقع الحال تريد القول بأنك تملكين النية ولا تأتين بالعمل وتظنين بأن هذا أمر صحيح !، وهذا خطأ كبير في فهم الأحاديث والعمل بها ، وأخيراً أنك رميت الإسلام بالظلم للمرأة لأنه فرض عليها الحجاب وهذا ظلم عظيم منك للإسلام ، وأنك بهذه المقالة قد هدمت كل ما أثبتته لنفسك سابقاً من الإيمان بالله وادعاءك النية الصالحة وغيره مما ذكرت .. وعن هذا الموضوع بالذات - أي قولك أن الإسلام يظلم المرأة حين يأمرها بارتداء الحجاب - سأنقل لك فقرات تاريخية عن واقع المرأة قبل الإسلام وواقعها بعده لتعرفي جيداً بأن الدين الإسلامي هو الجهة

واقع المرأة

قبل الإسلام وبعده

قالت محدّثتي ، وهي شابة قد تجاوزت الخامسة والعشرين من عمرها ، تعمل في سلك التعليم (!) ، تدّعي الثقافة المعاصرة ، ولها نشاطات اجتماعية أخرى :

- لماذا يجب عليّ ارتداء الحجاب ، فأنا مؤمنة بالله وأؤدي الصلاة .. فالمهم هو النية ، أليس الأعمال بالنيات .. فأنا أرى أنّ الإسلام يظلم المرأة حين يأمرها بإرتداء الحجاب !!!
قلتُ :

- عليكِ أولاً أن تعلمي جيداً أنّ للألفاظ معاني معينة ، وهي حين الاستعمال يجب أن تستخدم - أي هذه الألفاظ - في تلك المعاني المخصصة لها ، وإلاّ إذا أسأنا استخدام هذه الألفاظ ولم نضعها في مواضعها المخصصة لها فهذا يعني قلب الموازين اللغوية والشرعية جميعاً ، وبالتالي صعوبة إيصال أي فكرة صحيحة الى أي عقل كان .

قالت :

- ماذا تعني بهذه الكلمات ، فلست أفهم بالضبط ما تريد؟! ..

قلتُ :

من إصدارات

مركز دار الحكمة للدراسات الإسلامية

www.darhikma.net

info@darhikma.net

اسم الكتاب : الحجاب هَوِيَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ.

المؤلف : الشيخ خالد البغدادي

الطبعة : الأولى

الناشر : مركز دار الحكمة للدراسات الإسلامية

الحجاب - قادرة على جعلها "جوهرة" في المجتمع تشد الرجال إليها
إذا سأل الشباب يوماً عن أفضل فتاة يمكنهم الاقتران بها ، فيأتي
الجواب على الفور : إنها الفتاة "المحبة" المؤمنة.. والواقع أكبر
شاهد على ما أقول !!!..

وأخيراً أسأله تعالى أن تزداد "الجواهر" في مجتمعنا ، بأن نرى أكثر
فتياتنا ونساءنا بل جميعهن ، محجّبات مؤمنات ، يملأن الوجود نوراً
وبهاءً ...

وما ذلك على الله بعزيز .

خالد البغدادي
بغداد - ١٩٩٦م

الحجاب

هوية المرأة المسلمة

يعتبر ارتداء المرأة للحجاب

حصانة للمرأة والرجل من الفساد

كما يعتبر الحجاب شعاراً للمرأة

المؤمنة والعائلة المتدينة الملتزمة

والمجتمع الواعي الملتزم .

عنوان الكتاب

اسم كتابنا هذا هو : الحجاب ، هوية المرأة المسلمة . وهذا العنوان أخذته من مناسبة حدثت لأحد الإخوة المفكرين إذ قال : دخلت قاعة في مؤتمر عالمي يضم نساءً من مختلف الجنسيات والأديان فلم استطع تمييز دين أحد من النساء سوى مجموعة من النساء كنَّ يرتدين الحجاب ، فعرفت على الفور انهنَّ مسلمات ، فكان حجابهنَّ بمثابة الهوية التي عرفن بها .. ومن هنا كان عنوان الكتاب .

فالحجاب هو هوية المرأة المسلمة ، لأنه يعبر عن خصوصياتها الظاهرة من حيث الالتزام بالشريعة المحمدية المقدسة كما أنه يميّزها عن غيرها من أهل الملل والأديان الضالة سوى الإسلام .

المؤلف

مختلف القطاعات ، لأنه يحصر جوانب "الإثارة" في محيط الزوجية ، ويجعل محيط المجتمع محيط إنتاج وعمل فقط .

ويجب على الفتاة - غير المحببة - أن تلاحظ أيضاً أنّ "الاشياء الثمينة" و"الجواهر" تحافظ عليها الناس ، وتجعلها في مكان آمن ، أما الاشياء الرخيصة ، فإنهم يبدلونهم أمام الآخرين ، لأنها لا تثير همهم أو سعيهم في الحصول عليها .. كذلك حال المرأة بين الحجاب وعدمه ، فإنها إن لبست الحجاب أصبحت "جوهرة ثمينة" يسعى الرجل إلى احترامها والاعتزاز بها ، أمّا لو كانت "غير محببة" فإنها تكون "مبدولة" أمامه لا يحتاج الى تجشم الصعاب للكشف عن محاسنها ، ولأنّها حققت رغبته في التطلع إليها بأقل النفقات .. وشتان بين الأمرين ؛ "فإنّ وضع حاجز وحد بين المرأة نفسها والرجل هو من جملة الوسائل الغامضة التي تستفيد منها المرأة لحفظ مقامها أمام الرجل ، وقد حضّ الإسلام المرأة على الاستفادة من هذه الوسيلة ، خصوصاً تأكيده على أنه كلّما تحركت المرأة بشكل أكثر وقاراً وعفةً ، وامتنعت عن عرض نفسها أمام الرجل كلما ازداد احترامها لدى الرجل " .

وكما أرجو أن تلتفت المرأة إلى أنّ حجابها كقطعة قماش لا يكفيها لوحده في جعلها "جوهرة" في المجتمع ، ما لم تضم إلى هذا اللباس الإلهي العظيم ، حب "الله" وصدق الإيمان به ، والالتزام بأوامر الشريعة المقدسة ، فإنّها وحدها - أي أوامر الشريعة بما فيها من لبس

الرجل في الشوارع والطرق ، وتحول المجتمع الإنساني الى مجتمع بهيمي يفكر بغريزته ويسعى في تحقيق شهواته فقط .

لقد نظم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة ، بأن جعلهما ينظران الى بعضهما البعض كإنسانين لهما عقل وفكر ، خلاف النظريات الأخرى التي طرحت في تنظيم هذه العلاقة بأساليب جعلت كل من الرجل والمرأة ينظران الى بعضهما البعض كحيوانين لهما غرائز وشهوات فقط !!!..

فالإسلام هو "الوحيد" الذي نظم هذه العلاقة بشكل صحيح ومثمر وأوجد التوازن النفسي ، والاجتماعي ، والأسري للطرفين ، بطرحه مجموعة من الضوابط التي تنظم هذه العلاقة ومنها : "الحجاب" .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب ، موضع اهتمام كل فتاة "غير محجبة" . وأن تعلم هذه الفتاة أن "الحجاب" الذي شرّعه الله عز وجل هو من أجل الحفاظ عليها من الوحوش البشرية الكاسرة ، والرفع من قيمتها وعزّتها في المجتمع .

وعليها أن لا تعتبره سبيلاً إلى "تقييدها" أو الحد من "حريتها" كما يحلو للبعض أن يتلفظ به ، وهو ما سنجيب عليه بالتفصيل في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ..

كما أرجو من فتياتنا العزيزات أن لا تعتبر "الحجاب" عائقاً أمام اي لون من ألوان النشاط الاجتماعي الهادف ، بل على العكس تماماً ، يكون "حجاب المرأة" عاملاً اضافياً لزيادة الإنتاج في المجتمع وعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين في ظلّ ظروفٍ تزدادُ طراوتها على الاسلام ، ويتكالبُ به الاعداء على امة الهدى ، تصاعدُ حملات ضرب المسلمين باعزِ مقدساتهم و اعراضهم ، فيحاولُ الاعداء إغراء النساء بمفاتن الدنيا الزائلة ، وقد نجحوا أي نجاح في بعض الجوانب ، ولكنّ المقاومة الكبيرة للمسلمين، وخصوصاً نساء المسلمين ، جعل الدول الشيطانية الكبرى تتنكر لابطس مبادئ شعوبها، وهي الحرية و الديمقراطية فمنعت فرنسا الحجاب و بلجيكا النقاب وسويسرا المآذن، وفي الوقت الذي يُعتبر فيه هذا تراجعاً عن المبادئ عندهم ، فاننا نراه نصراً كبيراً للإسلام ، فان هذا يعني أننا ننتصر عليهم في قعر دورهم.

ولكن مع هذا فان الكثير من نساءنا قد تنحرف وراء معسول الكلام و صغائر منافع الامور، فتتبري المثقفون و الفضلاء و المتدينون ليُبينوا الحقائق و لينشروا الفضيلة ويتشرف مركز دار الحكمة للدراسات الاسلامية و هو ينبثق من مدينة أسس الفضيلة الاعظم و المولى المكرم امير المؤمنين (عليه السلام) أن يقوم بنشر كتاب الحجاب هوية المرأة المسلمة للشيخ خالد البغدادي من الحوزة المباركة في النجف الاشرف . ونسأله تعالى أن يتقبل منا انه سميع مجيب.

مركز دار الحكمة للدراسات الإسلامية

تحية وإهداء

تحية الى تلك الفتيات والنساء اللاتي رفضن أن يخلعن عن رؤوسهنّ الحجاب وتحدين قرار فرنسا (الفجور والرذيلة) وقبلن الفصل من مدارسها أمام أن ينزعن تاجاً ألبسهنّ إياه الله ، فكان ذلك لهنّ عز في الدنيا ، وهو لهنّ عز في الآخرة إن شاء الله تعالى ، يوم يظللّهن الله تحت ظلّه ، ويوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ، ولا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

وإيهن ايضاً أهدي هذا الكتيب إنتصاراً لشريعة الله وسنة نبيّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة المؤمنات وانتصاراً لما هنّ عليه من الحق والبهاء ، راجياً من حفيدات فاطمة الزهراء - عليها السلام - ، والسائرات على خط الحوراء زينب - بطلة كربلاء - أن يقبلن مني هذا الجهد المتواضع .

خالد البغدادي

ولعل هذه الصيحات أرتفعت ، بعد أن أدركت المرأة الأوروبية (اللعبة) ، وعرفت أنهم قد داسوها بالأقدام ، وقضوا على أنوثتها وعزتها حينما شرّعوا قوانين "الإباحية" وأزالوا الضوابط الاجتماعية التي كانت تنظّم علاقة الرجل بالمرأة ، والتي كانت بها المرأة حرزاً مصوناً لا يمكن اللعب به ، أو العبث بكرامته. (٢).

وهذا الكتاب يشرح هذا الامر الألهي ، وهو وجوب ارتداء المرأة "للحجاب" ، ووجوب ملاحظة كلّ من الطرفين - الرجل والمرأة - لضوابط العلاقة بينهما ، بما أبدته الشريعة الإسلامية المقدّسة من تعليمات تساهم مساهمة فعالة في حلّ الكثير من المشاكل التي تفرزها الجوانب الغريزية أو الجوانب النفسية للإنسان .

فقد طرح الإسلام العظيم طريقاً وسطاً في تنظيم شؤون المرأة ، لا إفراط فيه ولا تفريط ، فهو لم يلزم بحبسها في البيت ، أو بمنعها من الخروج خارج المنزل كي يحرمها من حق طلب العلم أو المساهمة في بناء المجتمع كما أنّه لم يطلق لها عنان الحرية بأن تخرج كما تشاء وكيف تشاء ، بل نظّم سلوكها بأنّ الزمها إذا أرادت الخروج الى الناس بأن تخرج ساترة نفسها ، وقورة في مشيتها، لا تثير غرائز

(٢) نقل لنا بعض الإخوان ممن قدموا من الدول الأوروبية : أنّ الرجل الأوروبي هذه الايام أخذ يفضل المرأة الشرقية على المرأة الأوروبية ، لذا تراه يبحث في كل مكان عن المرأة الشرقية ليتزوجها والسبب الرئيسي كما يقول انها مخلصة وعاطفية عكس المرأة الأوروبية التي "ضاعت" تماماً!! .

فهم يقولون مثلاً : اعطوا للمرأة حريتها ، أو: اتركوها تلبس تلك الملابس التي تكشف بها عن ساقها وذراعها وشعرها ، ولا تحرمونها "حقها" في الحياة !!.. وغير ذلك من الكلمات المبهمة المنمقة والألفاظ المزخرفة المزوقة ..

ولكن لو عرفت المرأة الحقيقة ، وأدركت "الأبعاد" التي تنطوي عليها هذه الكلمات أو الصيحات التي يطلقها البعض ، لرفضت الانصياع إليها ، ولما انطلت الحيلة عليها .

إن أصحاب هذه الصيحات لا يريدون في الواقع "تحرير المرأة" كما يدعون!!.. وإنما يريدون "إشباع شهواتهم" وتحقيق رغباتهم . وأن تكون المرأة أداة لإشباع غرائزهم فقط ..

إنهم يريدونها في متناول أيديهم متى شاءوا ، رخيصة مبذولة ويتركونها متى شاءوا رخيصة مبذولة .. وما يؤخذ رخيصاً يترك رخيصاً !!..

وهم بهذه الصيحات يحرمونها من أن تكون زوجة مخلصه لرجل واحد ، أو أمّاً صالحة لأطفالها - وتلك أعز أمنيات المرأة في الوجود - !!.. ولا يخامرني الشك بأنّي قرأت مرة في إحدى المجلات أنّ مسيرة قامت بها مجموعة من النساء في إحدى الدول الأوروبية رفعن فيها شعارات تقول : عودوا بنا إلى المطبخ والمنزل ، فهما موضعنا الحقيقي .. لا نريد هذه الحرية والإباحية !!..

بسم الله الرحمن الرحيم

{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} (الأعراف، الآية: ٣٦).

قال رسول الله (ص) :

(اطلّعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء) . مسند احمد ١: ٢٣٤ ، عوالي اللئالي ١: ١٢ .

وقال رسول الله (ص):

(سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسئمة البخت - البعير - العنوهنّ فإنهنّ ملعونات) وزاد في حديث آخر : (لا يدخلنّ الجنّة ولا يجدنّ ريحها وأنّ ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) . مستدرک سفينة البحار ١٠: ٥٢ ، صحيح مسلم ٨: ١٥٥ .

قال النووي : "هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع هذا الصنف من النساء وهو موجود " .

صحيح مسلم بشرح النوري ١٧: ١٩٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تمهيد

لو أردنا أن نبحت عن قانون ناجع نسير عليه في حياتنا . وننظم به أمورنا فإننا لا نجد أفضل من قانون وشرعية الإسلام...ولا يمكن أن نخدمنا كل القوانين أو الأنظمة الوضعية التي يضعها الإنسان في إدارة شؤون الحياة بأن ترتب لنا منهاجاً شاملاً يستوعب كل حاجات الإنسان : اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، وروحية ..الى آخر الحاجات . فهي قاصرة عن ذلك وعاجزة عنه .. لذا نجد الإنسان يبطل اليوم قانوناً كان قد وضعه بالأمس ، ويستحدث قانوناً آخر يأتي عليه غداً وهكذا، إلا " الإسلام " فإن منهجه هو المنهج الشامل الذي يستوعب كل حاجات الإنسان المادية والروحية ، ويوجهها التوجيه السليم نحو مرشد الخير وسبل الكمال.

والسر في ذلك ، أي في عجز الإنسان عن وضع منهاج شامل يستوعب كل حاجاته ، وقدرة الله سبحانه وتعالى على وضع مثل هذا المنهاج ، أن الإنسان قاصر عاجز ، والله سبحانه كامل قادر .. ولا توجد نسبة بين قدرة الكامل المطلق و القاصر النسبي!!

كما أن الله سبحانه خالق الإنسان ، فهو أعلم به من نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد . قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١).

بينما نجد أن أكثر شئ يجهله الإنسان في حياته هو نفسه ذاتها ، فهو لا يدرك أبعادها ، ولا يفهم غرائزها وأمزجتها ، وكل ما لديه هو أن يستجيب لمطالبها وينفذ رغباتها ، التي يكون أمر الاستجابة إليها - بلا ضابط أو قانون - هو النزول بالإنسان إلى "الحضيض" ! .

وأما إن كان عنده - أي هذا الإنسان - "عقل" و"دين" فإنه سيسير هذه الغرائز وفق "شرعية الله" التي لا بد أن تأخذ به الى مرافئ الراحة والأمن والسلام . لأن "شرعية الله" هي وحدها القادرة على حماية الإنسان من "فورات" غرائزه ، وهي وحدها القادرة ، كما قلنا سابقاً ، على تنظيم حياته وفق منهج سليم .

ولا يمكن بعد هذا ، أي بعد علمنا بأن واضع قوانين الإسلام هو الله سبحانه .. وأنه العليم الذي لا يجهل ، والحكيم الذي لا يعبث ، والعاقل الذي لا يظلم .. أن نصف قوانين الإسلام التي تتعلق بالمرأة بـ "الظلم" أو "الرجعية" أو غير ذلك من الأوصاف التي يطلقها دعاة "الحرية الشهوية" ، وعشاق "الرديلة" الذين يرفضون الخروج من "حيوانيتهم" الى "إنسانيتهم" ، وهم يحاولون أن يجروا المرأة من "إنسانيتها" الى "حيوانيتها" !!..

(١) سورة (ق) : الآية (١٦) .

الحجاب واجب على المرأة

بدليلي

القرآن والسنة

معنى كلمة " واجب " :

الوجوب هو الإلزام بالفعل ، ويترتب على الإلزام بالفعل ذم تاركه وعقابه ومدح فاعله وإثابته ، ويتصف الفعل الذي لزم به الشارع المقدّس باسم (الواجب) .

وحيث إنّ الواجب هو الفعل الذي لزم الشارع بالإتيان به ، أو هو الفعل الذي فرضه الله على العباد ولم يرخص لهم بتركه^(٢٦) .

أمّا كلمة : الحجاب ، فإنّها تعني الستر كما أنّها تعني البردة والحاجب ، ولكن استعمالها في الأعم بمعنى البردة^(٢٧) . وتدلّ هذه الكلمة على مفهوم الستر هنا باعتبار أنّ البردة وسيلة للستر الذي يفصل تماماً فصل البردة عمّا وراءها ، كما نرى أنّ القرآن الكريم يصف غروب الشمس حتى توارت بالحجاب^(٢٨) ، يعني بعد الفصل التام بينها وبين الرائي ، كما نجد أنّ الغشاء الحاجز بين القلب والجوف يدعى (الحجاب الحاجز) .

(٢٦)- مفتاح الوصول الى علم الاصول - للبهادلي - ١ : ٤٣ .

(٢٧)- والبردة : كساء اسود مُرَبَّع تلبسه الاعراب (انظر: مختار الصحاح: ٤٧) .

(٢٨) سورة (ص): الآية (٣٢) .

الوحيدة التي أعطت للمرأة المكانة اللائقة بها ، وأنّ كل المناهج البشرية التي سبقت الإسلام أو التي جاءت بعده لم تعط للمرأة المكانة اللائقة بها ولم تعطيها من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية كما فعل الإسلام ، وأنّ الإسلام لم يظلم المرأة لا في مسألة الحجاب ولا في غيرها ، بل لم يظلم أحداً قط ، ثم أبين لك ما هي الحكمة من لزوم ارتداء المرأة للحجاب ، ولتعرفي جيداً أنّ المصلحة في الأوامر الإلهية راجعة للأمور لا للأمر ، لأنّ الأمر - سبحانه - هو القوي العزيز الغني عن العالمين جميعاً !!^(٣) .

(٣) قد يستغرب القارئ العزيز من طبيعة كلام "المعلمة" السابق ، ومدى سطحية تفكيرها ، إلا أنّها هذه هي الحقيقة وهذا هو الواقع المرير الذي نعيشه في مجتمعنا اليوم ، إذ أصبح الإسلام غريباً بين أهله ، بل ومثهماً من قبلهم ، ولك أن تقول إن كان معلمي الجيل بهذا المستوى المتدني من الوعي الديني كيف بالجيل نفسه ؟ !! .. وسياؤك خبر "المعيدة" في كلية التربية فانتظر !! ..

وما نطقت به هذه "المعلمة" التي تدّعي الثقافة المعاصرة ، هو في حقيقته صدى للأفكار والتوجّهات الغربية ضدّ شعوبنا المسلمة ، فقد روي أحد الجواسيس البريطانيين في مذكراته ، أنّ وزارة المستعمرات البريطانية كانت تبعث جواسيسها الى البلدان الإسلامية وتعطيهم كتاباً عنوانه "كيف تحطم الإسلام ؟ !" ومن تعاليم هذا الكتاب كما ذكر هذا الجاسوس نفسه : يلزم إغراء المرأة المسلمة بإخراجها عن (الحجاب) ، بحجة أنّ الحجاب عادة خلفاء بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة ، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول [نقول ان الواقع غير ذلك حتماً ، فقد كانت أشدّ التعليمات بالستر والحجاب موجهة الى نساء النبي (ص) لمنزلتهن الدينية - راجع في ذلك آيات القرآن الكريم في سورة (الأحزاب)] ، وكانت المرأة تشترك في كل الشؤون ، وبعد إخراج المرأة عن الحجاب لا بد من إغراء الشباب بها ليقع الفساد بينهما ، واللازم أن تخرج النساء غير المسلمات بلا حجاب حتى تقتدي بهنّ المرأة المسلمة .

وكما جاء في الكتاب نفسه : ويلزم تميع شباب المسلمين بناتاً وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد أخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والوسائل الإعلامية

المرأة قبل الإسلام

قلتُ :

لنأخذ على سبيل المثال المجتمعات التي ظهرت قبل الإسلام التي كانت لها قوانين وأنظمة كالمجتمع اليوناني والمجتمع الروماني ، فقد ذكر المؤرخون أنّ المرأة في هذين المجتمعين كان يملكها ربّ الأسرة^(٤) ، كما يملك متاعه وأمواله ، وكان له عليها حق الحياة والموت ، فإذا تزوجت انتقلت هذه الحقوق لزوجها ، وليس لها ان تستقل بأمرها في أي شأن من شؤونها^(٥).

ولم تكن المرأة في كلا الحالين - قبل الزواج وبعده - تتمتع بأي أهلية ، ولم تكن لها أي شخصية قانونية ، وإنّما كانت تخضع لوصايا صاحب السلطة عليها .. ذلك لأنّ الأنوثة كانت تعتبر أحد الأسباب لانعدام الأهلية في القانون الروماني .

وهكذا غيره من بقية القوانين ممن سبق الرومان أو لحقهم ولم يقتصر ذلك على أمر زواجها ، بل يتعدى الى جميع شؤونها فهي مسلوبة الحرية في كل ما يرجع إلى حقوقها المادية والاجتماعية ، وقبل هذا كانت شريعة "حمورابي" قد نزلت بالمرأة الى الحضيض حيث عدّتها

ومنحها من الصلاحيات ما تتمكن به من المطالبة بحقوقها المشروعة اذا صودرت هذه الحقوق^(٢٥) وألزم الزوج بالنفقة عليها وحمايتها والعناية بها ، وفتح لها أبواب العلم والمعرفة ، أم الذي سنّ حق امتلاكها كما يملك المتاع والأموال ، وأباح وأدها وهي طفلة بريئة ، وحرّقها مع زوجها وهي شابة يافعة ، وحرّمها من الميراث وقلّ من شأنها وقيمتها في المجتمع .. أليس هذا هو فعل الذين سبقوا الإسلام ، وما تقدم كان هو فعل الإسلام وتشريعه ، فكيف يكون الإسلام - بعد ذلك - ظالماً للمرأة مع كل هذه العطاءات !!؟.

ثمّ - بعد ذلك - حدثت هذه " المعلمة " الجاهلة بأحكام الإسلام عن حكمة الحجاب وأهميته بالنسبة للمرأة وكون تشريعه من قبل الله عز وجل هو لصالح المرأة لا ضد مصلحتها ، وهذا ما سألنيته في بحوث الكتاب القادمة ، وقد استلزم تأجيل بيانه الآن لطبيعة الترتيب الذي اعتمدته في موضوعات الكتاب ، فاستميت القارئ العزيز العذر واسأله تعالى أن يلهمنا الحكمة والسداد في جميع أمورنا إنّّه سميع مجيب .

* * *

(٢٥) - راجع قضية فدك في التأريخ ، وانظر كيف خرجت فاطمة بنت محمد (ص) في مجموعة من نساها للمطالبة بارتها . وانظر إلى خطبتها العظيمة في المسجد النبوي للمطالبة بهذا الحقّ .. إذ يعتبر خروجها - عليها السلام - بهذا الحشد من النساء أول تظاهرة إسلامية للنساء للمطالبة بحقوقهن المشروعة إذا صودرت هذه الحقوق!..

والأصدقاء من غير المسلمين الذي يهيئون لهذا الشأن . (راجع مذكرات مستر همفر المطبوعة سنة ١٩٧٣).

(٤) وهو متولي تربيتها كالأب أو الأخ أو غيره .

(٥) انظر: كتاب : الإسلام والحياة : ١٢٩ .

كل ذلك وغيره ، لا يكون موجباً للتفضيل ، بل مقياس الاتصال والتوجه هو العمل والجهد الذي يبذله الفرد إزاء خالقه ومجتمعه ، وحاشا لله أن يضيع لديه عمل عاملٍ لأنَّ ذلك منافٍ لأصول العدالة ، وهو المنزّه عن كل نقص وعيب ، وعلى نسبة ما يقوم المرء ينال جزاءه من ربّه بغض النظر عن كون العامل رجلاً ، أو امرأة وانظري الى قوله تعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٢٣) .

فكل هؤلاء بغض النظر عن الذكور ، والإناث ، أعدّ الله لهم مغفرة كما وعدهم بالأجر العظيم جزاء إسلامهم ، وإيمانهم ، وقنوتهم ، وصدقهم ، وصبرهم إلى بقية الصفات وأخيراً " فإنّ أكرمكم عند الله اتقاكم " (٢٤) .

وبعد بيان تكريم المرأة على الصعيد العملي في الإسلام التفت إلى محدثتي وسألتهما : فمن هو الذي ظلم المرأة ، الذي أكرم وجودها واعتبرها أحد الركنتين الأساسيين في بقاء النوع الإنساني وحرّم وأدّها وصان حقوقها وشرّع لها الميراث وحرية الاختيار لشريك الحياة

(٢٣) سورة الاحزاب : الآية (٣٥) .

(٢٤) - استعنت في بيان هذا البحث هنا بكتاب " الزواج في القرآن والسنة " للسيد عز الدين بحر العلوم ، فليراجع ثمة .

في عداد الماشية المملوكة حتى أنّ من قتل لرجلٍ كان عليه ان يسلم بنته ليقتلها ، أو يملكها (٦) .

أمّا اليهود فقد كانوا يرون في المرأة لعنة ، ويبررون ذلك بأنها هي التي أغوت "آدم" وقد جاء في التوراة:

المرأة أمرّ من الموت وأنّ الصالح أمام الله ينجو منها(٧) ، وكانت بعض الطوائف اليهودية تعتبر البنت في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحق في بيعها وهي قاصرة ، وأمّا المسيحيون فقد اعتبروا المرأة باب الشيطان إلى نفس الإنسان وأنها ناقضة لنواميس الله ، وأنها خطر على الأسرة والبيت ولذلك قرروا أنّ الزواج دنس يجب الابتعاد عنه ، وأنّ العزب عند الله أكرم من المتزوج .

بهذه الصفات قابل المسيحيون المرأة ، فجعلوا الرجل ينفر منها ويعتبرها خطراً على نفسه ومعتقداته(٨) .

أمّا الهنود فقد اتسمت معاملتهم للمرأة بطابع آخر فيه تعدّ سافر على حياتها حيث لم يكن لها حقّ في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية في موقد واحد .

(٦) انظر : حقوق المرأة : ٥٠ ، و : المرأة بين الفقه والقانون - لمصطفى السباعي : ١٨ .

(٧) العهد القديم : ٩٨٠ ، ولا يخفى أنّ الكتب الموجودة الآن عند اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل إنّما هي كتب محرّفة ولا تمثل الشريعة التي جاء بها الانبياء من قبل الله عز وجل ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في عدة موارد منه .

(٨) انظر : كتاب : المرأة بين الفقه والقانون : ١٩- ٢٠ .

على أنها في حياته كانت قاصرة في نظرهم حتى أنه لو مات أبوها أو زوجها أو ولدها أو من يمت إليها بصلة كان عليها أن تنتمي الى رجل من أقارب زوجها (٩).

بل كان الرجل يعد من حقه أن يظلم المرأة وهي تعد من واجباتها الصبر على ظلمه ، وكان قد ركز في نفسها من شعور العبودية ما يجعلها تفتخر بأن تدعو نفسها "داس" أي أمة لزوجها وتؤمن بـ "بتي ورننا" أي أتخاذ المرأة زوجها معبوداً إلهاً ، والمصطلحان شائعان معروفان في المجتمع الهندوكي (١٠).

وعلى هذه الشاكلة كانت المرأة تلاقى نصيباً تعساً في بلاد الروم وفارس والصين حيث كان الذل يخيم على المرأة كإنسان يفقد قيمته الاجتماعية .

وكانت هذه المجموعات تحرم المرأة من حقوقها الميراثية ، وإذا كان البعض يورثها فإنه يحرمها من التصرف في مالها ، بل الحرية في التصرف بأموالها إنما تكون الى الولي عليها (١١).

أما العرب في الجاهلية وقبل الإسلام ، فإنهم لم يكونوا ينظرون الى المرأة بأحسن مما كان ينظر إليها من سبقهم من الأمم ، بل قد امتهنوا المرأة فاعتبروها شؤماً في حياتهم ، وحجراً في طريق تقدم الرجل ورقية ، فهي ممنوعة من الإرث وليس لها في زواجها شيء ، بل

(٩) المصدر السابق : ١٨ .

(١٠) انظر: الحجاب - للمودودي - : ٢٠٠ .

(١١) - الزواج في القرآن والسنة - لعز الدين بحر العلوم - : ٢٨ .

المراحل الحياتية التي تمر بها من جعل نفقتها على الزوج أو على غيره من القرابة القريبة حيث زحرت بذلك البحوث الفقهية (٢٠) .

٣- تكريم المرأة على صعيد العمل :

وفي ختام المطاف ترى اللطف الإلهي يشمل المرأة فيوجه ضربة قاضية الى الذين يقولون بتفضيل الرجل على المرأة حيث قال تعالى : {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} (٢١) .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (٢٢)

قلت لمحدثتي فانظري الى قوله تعالى : {أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} .

هذه هي سيرة الله في عباده ، ومنهجه القويم ؛ إذ الخلق عنده من حيث العمل سواء ، ليس لذكرهم تفضيل على الأنثى ، ولا العكس بل هم شرع سواء من ناحية الاتصال به والتوجه اليه ، فلا يقول الرجل إن لي التفضيل على الأنثى لأن " الرجال قوامون على النساء" ولا لأن للرجل ميزة الجهاد فيفضل على المرأة .

(٢٠) - لاحظ المواضع المذكورة من القرآن الكريم في الآيات التالية : من سورة النساء : الآيات (١ ، ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٣) ، ومن آل عمران : آية (١٩٥) ، ومن البقرة : الآيات (١٨٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣) ، ومن الروم : آية (٢١) ، ومن الاحزاب : آية (٣٥) .

(٢١) سورة آل عمران : الآية (١٩٥) .

(٢٢) سورة الحجرات : الآية (١٣) .

عرف الناس أبعاد هذه النهضة وأسرارها العظيمة ، ولكانت واقعة الطف كأبي معركة تجري بين معسكرين وتنتهي بزوال آثارها المادية ، إلا أنّ الحوراء زينب (ع) كانت في كل مكان تحط فيه تشرح أبعاد ثورة أخيها الحسين (عليه السلام) وكيف أنه خرج في سبيل تطبيق فرع مهم من فروع الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانت - عليها السلام - بمثابة الوسيلة الإعلامية المباركة التي شرحت للعالم أسرار وأبعاد تلك الثورة الحسينية العظيمة (١٤) .

فجريمة "الوأة" التي كانت تمارسها بعض القبائل العربية على البنات وهي دفن البنت حية ، هي في الحقيقة جريمة ضد الإنسانية جمعاء لأنها بهذا الفعل الشنيع تحرم الإنسانية من عطاء عظيم تمثله المرأة في جميع ادوار الحياة .

يقول "سيد قطب" في تفسيره (في ظلال القرآن) (١٥) عن هذه الجريمة البشعة : وكانوا- أي العرب - ينفنون في هذا شتى الطرق ، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون السادسة من عمرها ثم يقول لأمّها : طيّبها وزيّنها حتى أذهب بها الى حمائها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها ثم

(١٤)- قال الفيلسوف الألماني الميسو ماريين : "بعد وقعة كربلاء انكشفت سرائر الأمويين ، وظهرت قبائح أعمالهم ، وانتشر الخلاف على يزيد وبني أمية ، وما كان يجرؤ إنسان ، قبل كربلاء أن يجهر بتقديس علي والحسين ، وبعدها لم يكن للناس من حديث إلا في فضل العلويين ومحنتهم ، حتى في مجلس يزيد يذكر الحسين وأباه بالتقدير العظيم " . راجع " الحسين وبطلة كربلاء " للشيخ محمد جواد مغنية : ٢٠٣ .

(١٥)- ج ١٤ ص ٦٢-٦٣ .

وبأي جرم نالت هذا العقاب الصارم ، فحرمت الحياة ، وهي بعد لا تزال في عمر الورود ؟ كل هذه المناظر عرضها القرآن الكريم ليهوّل هذه الجريمة وليوقف بهذا التحذير مسيرة "الوأة" ومن ثم ليحفظ للمرأة كرامتها ، وحياتها ، ويخلصها من براثن العادات الكافرة .

عناية الإسلام الفائقة

وقد أولى الإسلام بعد هذه المرحلة عناية فائقة بالمرأة في رعاية بقية الجوانب الاعتبارية بإشراكها مع الرجل في جميع الجوانب التي يكون لها دور ايجابي في بناءها ونضوجها ، من عدم حرمانها من التعليم وما يعود عليها من النفع الثقافي والعلمي ، كما اعتبر الإسلام المرأة كالرجل أمام القانون ، وفي مجال الحقوق العامة ، فبدأ بتنظيم المقاييس الخاصة لها في الوصول إلى مرحلة البلوغ الذي يؤهلها للقيام بأعباء التكاليف الشرعية ، والاجتماعية ، كما هو الحال في جانب الرجل ، وبذلك تتم الشخصية المدنية لكلا الطرفين .

كما أهاب الإسلام بالمرأة بان جعل لها حرية التحكم في أمر نفسها بالنسبة لاختيار شريك لها في حياتها ، وحتى بعد وفاة زوجها جعل لها الحرية الكاملة في الاقتران بمن تشاء دون أن يكون لأحدٍ عليها أي امرٍ ، أو نهى ، فليست المرأة متاعاً رخيصاً تتلاقفها الأيدي ليشبع

"وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ" وهي النوق الحبالى في شهرها العاشر وهي من أنفس الأموال عند العرب ، وقد عُطِّلَتْ لأنها تركت من غير راع يرعاها لأن أصحابها مشغولون عنها بأنفسهم ، ولماذا لا يكون الأمر كذلك ؟ وقد قال القرآن عن ذلك اليوم :

{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}. (١٩)

"وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" وهي الحيوانات النافرة الشاردة من الإنسان تراها محشورة قد خرجت عن وضعها الطبيعي المألوف .

"وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ" أي اضرمت بها النيران ، أو ما ملئت بالمياه ، فكان لها على كلا التفسيرين المنظر المرعب .

"وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ" وتزويجها في ذلك اليوم بما يناسب السياق القرآني للآيات المتقدمة ، وفي عرضها للصور الموحشة هو تقاربها وتجمعها في مكان واحد مذهولة مدهوشة من الفرع بما فيها من جنسيات مختلفة ، وملل متعددة .

وسط هذه المناظر وما يتلوها من مناظر أخرى لا تقل في الإرعاب عن هذه الأهوال تنجم عن ذلك الموقف ، مما يأخذ على الإنسان مسالك التفكير ، ويتركه فريسة للهلع والحيرة مما يشاهده من التغيير الكوني المخيف تقف المؤودة وهي كما قلنا البنت التي كانت تدفن حية لتُسأل : "بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ" !!!.

(١٩) سورة عبس : الآيات (٣٤ - ٣٧) .

يدفعها دفعا ويهيل التراب عليها ، وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة فإذا كانت المولودة بنتاً رمت وردمتها وإن كان ابناً قامت به معها .
وفي كل ذلك وهي بريئة لا يقع على عاتقها مسؤولية كونها أنثى.

المرأة في ظل الإسلام العزيز

ثم قلتُ لمحدثتي :

وفي أوج هذه الخرافات البالية ، والعقائد الرخيصة جاء الإسلام العزيز ليرفع رأس المرأة عالياً ، ويمنحها الكرامة ، وينظم لها حياتها على الصعيدين الإجتماعي ، والمالي ، فيهب لها أن تتمتع بما يتمتع به الرجل من حقوق ، لأنه يقع على عاتقها نفس المهمة التي تقع على عاتق الرجل في كون كل منهما طرفاً في مسيرة إنجاب الذرية وبقاء النوع الإنساني والقيام بما يتطلبه البيت الزوجي من شؤون تيسر للطرفين أداء التكاليف والواجبات الإلهية والسير نحو الغاية المنشودة .. ولناخذ جوانب من تكريم الإسلام للمرأة :

١- تكريم المرأة على الصعيد الاجتماعي :

لقد بدأ الإسلام مع المرأة في تكريمها اجتماعياً من أول لحظة تمر بها من مراحل حياتها ، فعالج مشكلة الابتعاد عنها وما كانت عليه نظرة الكثير من القبائل العربية من الإحتقار ، واعتبارها شؤماً عليهم في

هذه الحياة حتى كانوا يجهزون عليها ، فيدفنونها حيّة ليتخلصوا منها وليبعدوا شبحها عنهم .

فقد ذكرت المصادر التاريخية : أن بني تميم ، وكندة ، وقبائل أخرى هم الذين كانت تجري عندهم مثل هذه العادات ، وأنّ أول قبيلة وأدت من العرب : ربيعة ، وذلك أنهم أغير عليهم فنهبت بنت لأميرهم ، فاستردها بعد الصلح ، فخيّرت بين أبيها ، وبين من هي عنده ، فاختارت من هي عنده ، وآثرته على أبيها فغضب وسنّ لقومه عملية (الوَأْد) ففعلوه غيرة منهم ، ومخافة أن يقع لهم بعد ذلك مثل ما وقع ، وشاع هذا العمل بين العرب ، وغيرهم .

وكان منهم من يئد البنت لكونها زرقاء ، أو شيماء ، سوداء ، أو برشاء - مثل البرص - أو كسحاء ، تشاؤماً منهم بهذه الصفات (١٦) ، وجاء الإسلام العزيز ليوقف أمام هذه الجريمة البشعة لينقذ المرأة من مخالب الوحوش البشرية الكاسرة .. وإذا بصوت الإيمان ينطلق من جوار الكعبة المقدسة ، ومن مكة المكرمة يجلجل لتردد صدها شعاب الحرم لتسمع الدنيا بقوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (١٧) . وقد مهد القرآن الكريم لهذا السؤال بأن صور لهم يوم القيامة .. ذلك اليوم المرعب المخيف .. يوم الحساب الدقيق

ليترك في النفوس أثراً تتحسس به فتترك ما هي عليه من التعدي على المرأة ، وهي في أول الطريق .

ثم قلت لمحدثتي :

- فانظري كيف مهدّ القرآن كل هذه التفاصيل ليدافع عن المرأة ، يقول تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (١٨) .

بيان هذه الآيات

لقد أعطت هذه السورة الكريمة صورة حيّة عن يوم القيامة ، يوم الانقلاب الكبير ، ذلك الانقلاب الكوني الشامل بما فيه من أجرام سماوية ، وأرضية ، والذي أحال دوراته المنتظمة ومشاهده المألوفة الى صورة مرعبة مخيفة .

" إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " فخمد ضوءها ، وانطفأت منها هذه الشعلة الملتهبة التي هي مصدر الضوء في هذه الحياة .

" وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ " فذهب بريقها ، وانعدم ما فيها من لمعان .

" وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ " فإذا بها في حركة سريعة تسير سيراً حثيثاً تمر مر السحاب ، ومن غير استقرار .

(١٦)- عادات الزواج وشعائرها . من سلسلة (أقرأ) عدد ١٦٩ : ٦٨ .

(١٧) سورة التكوير : الآيتان (٨ - ٩) .

(١٨) سورة التكوير : الآيات (١ - ٩) .

وعن السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) في (الأحكام الفقهية) :

" يجوز للمرأة كشف الوجه والكفين للمحارم وغيرهم ، ويجب عليها ستر شعرها وباقي جسدها [حتى القدمين] عن غير المحارم" (٥٥) .

وعن الشيخ محمد اسحق الفياض (دام ظله) في (المناهج) : " يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين عن غير الزوج والمحارم ، وأما ستر الوجه والكفين عن غيرهما فعلى الاحوط" (٥٦) .

* * *

مسألتي المصافحة والاختلاط

جاء في الموسوعة الفقهية للسيد عبد الأعلى السبزواري " مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام" كتاب النكاح ص ٥٨ :

((لا يجوز مصافحة الاجنبية إجماعاً ونصوصاً (٥٧) منها خبر ابي بصير عن الامام الصادق (عليه السلام) قلت له: هل يوافق الرجل المرأة ليست بذات محرم ؟

فقال : (لا إلا من وراء ثوب) (٥٨) . ومنها موثق سماعة : " سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن مصافحة الرجل للمرأة قال : (لا يحل للرجل أن

(٥٥)- الأحكام الفقهية - فتاوى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) - : ٣٤٩ مسألة رقم (٣) .

(٥٦)- منهاج الصالحين - فتاوى الشيخ الفياض - (دام ظله) ٣ : ١٣ المسألة رقم (١٤) .

(٥٧)- أي أنّ عدم جواز مصافحة الاجنبية للرجل الاجنبي هو مما أجمع عليه الفقهاء وجاءت به النصوص الشرعية .

(٥٨)- الكافي ٥ : ٥٢٥ .

وحجاب المرأة في الإسلام يعني : أن تستر المرأة بدنّها حينما تتعامل مع الرجال ، وأن لا تخرج أمامهم مثيرة كما اثبت ذلك النصوص القرآنية ونصوص السنة الشريفة وهو ما سنأتي على بيانه الآن .

النصوص المشرّعة للحجاب في الإسلام :

١- قال تعالى في سورة (النور) الآية ٣١ :

{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} صدق الله العلي العظيم .

إنّ مدار بحثنا هو هذه الآية الكريمة ، وقبل بيان المراد منها وتوافق المفسرين (سنة وشيعة) على أنّ المراد منها هو الحجاب ، نذكر الآيات الاربع التي سبقت هذه الآية فإنها تتناول عدة أحكام تنظم علاقة الرجل بالمرأة .

قال تعالى في سورة (النور) في الآيات (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا

أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} صدق الله العلي العظيم .

فقد شرّع الإسلام الاستئذان في الدخول إلى البيوت المسكونة ، ولم يكن ذلك مألوفاً عند العرب من قبل ، إذ كان الناس يردون بيوت بعضهم بعضاً فجأة بدون استئذان فنسخ الإسلام العزيز هذه العادة الخاطئة ، ومن الواضح أنّ تشريع هذا الحكم يعود إلى أمرين :

أحدهما : مسألة الشرف والعرض ، يعني ستر المرأة ، ومن هنا جاء هذا الحكم في سياق واحد مع آيات الحجاب .

والآخر : أنّ لكل شخص أسراراً خاصة به في منزله ولا يميل لأن يطلع الآخرون عليها حتى لو كان صديقاً حميماً^(٢٩) .

وقد جاء الأثر عن أبي أيوب الأنصاري قال : قلنا يا رسول الله ما الاستئناس^(٣٠) ؟ قال : (يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبير والتتحنح على أهل البيت)^(٣١) .

إظهاراً للزهد والرياء ، وقد قال رسول الله (ص) : (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألْبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألْهب فيه ناراً)^(٥٢)

فتاوى الفقهاء

ومن فتاوى الفقهاء في هذا الشأن ننقل الفتاوى التالية :

قال السيد الخوئي (قدس سره) في " منهاج الصالحين " : " يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين من غير الزوج والمحارم ، بل يجب عليها ستر الوجه والكفين عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذه ، بل عن غير المحارم على الأحوط ، ولا يجب على الرجل الستر مطلقاً " ^(٥٣) .

وعن السيد السيستاني (دام ظله) في (المنهاج) : " يجب على المرأة أن تستر شعرها وما عدا الوجه والكفين من بدنهما عن غير الزوج ، والمحارم ، وأمّا الوجه والكفان فالأظهر جواز إبدائها إلا مع خوف الوقوع في الحرام أو كونه بداعي إيقاع الرجل في النظر المحرم فيحرم الإبداء حينئذ حتى بالنسبة إلى المحارم " ^(٥٤) .

(٥٢)- عوالي اللئالي ١ : ١٥٦ .

(٥٣)- منهاج الصالحين - فتاوى السيد الخوئي (قد) ٢ : ٢٢٦ المسألة رقم (١٢٣٣) .

(٥٤)- منهاج الصالحين - فتاوى السيد السيستاني (دام ظله) ٣ : ١٣ المسألة رقم (١٨) .

(٢٩)- انظر: مسألة الحجاب - للمطهرى - : ٩١ .

(٣٠)- أي معنى قوله تعالى " حتى تستأنسوا وتسلموا " النور - ٢٧ .

(٣١)- الميزان في تفسير القرآن - للطباطبائي - ١٨ : ١١٤ .

٢- أن لا يكون زينة في نفسه .

٣- أن يكون غير شفاف .

٤- أن يكون فضفاضاً غير ضيق يصف شيئاً من جسمها .

٥- أن لا يكون مطيباً ، أي: فيه رائحة تحرك الشهوات فإنّ ذلك يتنافى ومبدأ الحجاب .

٦- أن لا يشبه لباس الرجل ولا لباس الكافرات .فقد وردت أحاديث في لعن المرأة التي تتشبه بالرجل في اللباس منها حديث النبي(ص) : (لعن الله الرجل الذي يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) (٤٩) .

وحديث الامام الصادق عليه السلام ، قال : (لعن النبي (ص) المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال : أخرجوهم من بيوتهم) . وفي لفظ: (لعن رسول الله (ص) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) . (٥٠) .

وكذلك لا تلبس لباساً يشبه لباس الكافرات فقد تقرّر في الشرع أنّه لا يجوز للمسلمين رجالاً ونساءً التشبه بالكفار سواء في عباداتهم أو أزيائهم الخاصة بهم (٥١) .

٧- أن لا يكون لباس شهرة ، وهو كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس سواء كان الثوب نفيساً ، يلبسه تفاخراً بالدنيا، أو خسيساً يلبسه

ويروى أنّ رجلاً قال للنبي(ص) : استأذن على أمي ؟ فقال : (نعم) .

قال:إنها ليس لها خادم غيري ، فاستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : (أتحب ان تراها عريانة؟) قال الرجل: لا، قال:(فاستأذن عليها) (٣٢) .

وقد كان رسول الله (ص) يطبق هذا الحكم بنفسه ويوصي أصحابه ويؤكد على تطبيقه وقد نقل علماء الإسلام : أنّ النبي (ص) إذا أراد أن يرد منزلاً يقف خلفه ويقول " السلام عليكم يا أهل البيت " فحينما يأذنون له يدخل ، وإذا لم يسمع جواباً يكرر السلام ثانية وثالثة ، إذ من المحتمل أن يكون هناك شخص في الدار ولم يسمع السلام في المرة الاولى والثانية ، ولكن إذا لم يسمع النبي (ص) جواباً في المرة الثالثة يعود راجعاً ، ويصرح أن أمرهم يدور بين كونهم خارج الدار ، أو أنهم لا يرغبون الدخول عليهم ، وكان النبي (ص) يطبق هذا السلوك حتى بالنسبة لدار ابنته فاطمة (ع) (٣٣) .

وبعد آيات الاستئذان (٢٧،٢٨،٢٩) تأتينا الآيتين (٣٠،٣١) من سورة النور المتعلقان بالأحكام المرتبطة بموضوع علاقة الرجل بالمرأة وهما يشتملان على عدة فروع ، منها :

١- يلزم المسلم - رجلاً كان أو امرأة - أن يجتنب ملاحقة الآخر بالنظر ، والنظر بشهوة بهيمية .

(٤٩)- كنز العمال ٨: ٣٢٣.

(٥٠)- الكافي - للكليني - ٥: ٥٥٠.

(٥١)- انظر :المعتبر - للمحقق الحلي - ٢: ٩٤ .

(٣٢)- المصدر السابق .

(٣٣)- انظر : بحار الانوار- للمجلسي - ٤٣ : ٦٢ ، ٨٢ .

- ٢- يلزم كل مسلم - رجلاً كان أو امرأة - أن يكون عفيفاً وأن يستتر عورته أمام الآخرين .
- ٣- يلزم النساء أن يحتجبن وأن يمتنعن عن إظهار محاسنهن للآخرين، وأن لا يعملن على إثارة الرجال فذلك فعل ممقوت وشنيع .
- ٤- استثناء وجوب حجاب المرأة في موردين ، سنأتي على ذكرهما بعد بيان الستر والحجاب الذي جاءت به الآية الكريمة .

* * *

آية الحجاب

قال تعالى في السور المتقدمة : سورة النور: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) الجيب في اللغة إذا أضيف إلى غيره يقال جِيبُ القميص أي ما يُدخل منه الرأس عند لبسه ، ويقال جِيبُ الثوب ، أي ما توضع فيه الدراهم ونحوها (٣٤) . وقد كُنِيَ في الآية الكريمة عن الصدور بالجيوب ، لأنها ملبوسة عليها .

أما الخمار فهو كل ما ستر ، ومنه خمار المرأة وهو ثوب تغطي به رأسها (٣٥) .

قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) وهو يتحدث عن وضع النساء قبل نزول هذه الآيات : ((كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهنَّ

(٣٤)- المعجم الوسيط : ١٤٩- ١٥٠ .

(٣٥)- المصدر السابق : ٢٥٥ .

فإن حركة الانسان وثيابه تحكي أحياناً ، فيكون في بعض الأحيان وضع لباس المرأة ومشيتها وحديثها ذا معنى ، فيقول للرجل : اطلبني ، تابعني ، أنا رخيصة .. وأحياناً تنطق العكس ، فتقول بلا لسان : لا تتعرض لسور عفاي ، فإنني لو لم اعرف نفسي بأني جوهرة ثمينة لما صرت محجبة ، ولتركت نفسي (مبذولة) يستعرضها الوضيع والدنيء !!.

* * *

شروط الحجاب

الحجاب جمع حجب ، وهو كما عرفنا معناه الساتر، والجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الذي يستتر جميع البدن ، فأمر الله سبحانه وتعالى جميع النساء بالستر وأن ذلك لا يكون إلا بما لا يصف جلدها إلا إذا كانت مع زوجها .

فلما نزلت هذه الآية (آية ٥٩ من سورة الاحزاب) أمر النبي (ص) نساؤه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن وروؤسهن وجيوبهن (وهي فتحة الصدر من الثوب) بجلباب كاسي ، أي: اذا خرجت المرأة من دارها وجب عليها أن تستتر بدنهما بأي زي إسلامي من اللباس ما وجدت فيه الشروط الآتية :

- ١- استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى بالأحاديث وفتاوى العلماء (وهو الوجه والكفان) .

ولا بدّ هنا من الإشارة الى أنّ افضل وسائل تطبيق الحجاب هو (العباءة) المتعارف لبسها في زماننا اليوم ؛ لأنها أولاً لا تُظهر من تقاطيع جسم المرأة شيئاً، وهذا الامر لم ينجو منه أي لباس آخر للحجاب رأيناه كالجبة أو ارتداء قطعتين من بنطلون عليه قميص طويل وغيره، وثانياً: أنّ العباءة بلونها الاسود تتحقق الهدف من عدم إثارة الغريزة الشهوية للرجل تجاه المرأة، وهو أمر مهم شرّع من أجله الحجاب .

وقد تقدّم أنّ قوله تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذین) يدل على أنهن بارتدائهن الحجاب سوف يُعرفن بأنهن نساء عفيفات وسوف ينصرف عنهن المنحرفون ولا يقترب إلى مضايقتهن المتطفلون . فالمفهوم الذي يستخلص من هذه الآية ، حقيقة يرسم منهاجاً رفيعاً ، وهو : أنه ينبغي للمرأة المسلمة أن تتحرك بين الناس ، بالشكل الذي تعكس خلاله العفاف والوقار والطهارة بحيث تكون هذه المعالم شارتها التي بها تعرف ، وعندئذ ييأس المنحرفون الذين يتصيدون ، ولا تخطر في بالهم قضية استغلالها ، فالملاحظ أنّ الطائشين من الشباب إنما يعترضون سبيل النساء الرخيصات اللواتي لا يلتزم بالحجاب ، وحينما يعترضونهن ، ويعترضن ، يقال لهنّ : لو لم ترغبين بذلك لما كنتن على هذه الحال التي أنتنّ عليها من التبرج والإثارة !!.

وصدورهنّ وما حواليتها وكن يسدلن الخمر من ورائهنّ فتبقى مكشوفة)) . أنتهى

ومن الواضح أنّ الخمار ليس له خصوصية في الآية الشريفة ، بل المقصود منه هو ستر الرأس والرقبة والنحر ، فقد كانت جيوب نساء العرب واسعة - كما ذكر صاحب الكشاف وغيره - لا تغطي نحورهن وصدورهن ، وكن يسدلن خمرهن من الخلف فتبدو آذانهن وأقراطهن ونحورهن وصدورهن فجاء حكم هذه الآية الشريفة بحيث يلزم أن تسدل المرأة خمارها لتغطي ماكان مكشوفاً منها .

يقول " ابن عباس " - ترجمان القرآن - في تفسير هذه الجملة من الآية الشريفة : " تغطي شعرها وصدورها وترائبها وسوالفها " (٣٦) . وينقل العلماء في تفاسيرهم في بيان سبب نزول هذه الآية قصة مفادها :

استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ، وكانت النساء يتقنعن خلف آذانهن ، فنظر إليها ، وهي مقبلة ، فلما جازت نظر إليها ودخلت في زقاق قد سماه " لبني فلان " فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط فشق وجهه ، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدوره ، فقال والله لآتين رسول الله (ص) قال : فأتاه فلما رآه

(٣٦)- مجمع البيان - للطبرسي - ٥ : ٢٧ .. والترائب هي عظام الصدر مما يلي الترقوتين وموضع القلادة ، والسوالف : المناطق الحاكية عن جمالها .

رسول الله (ص) قال له : ما هذا ؟ فاخبره ، فهبط جبرائيل بهذه الآية (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ..) الخ (٣٧) .

وفي تفسير " مجمع البيان " يقول :

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر المقانع ، جمع خمار ، وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جنبها ، أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن لتغطية نحورهن ، فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن ، فتبدو صدورهن ، وكنتي عن الصدور بالجيوب ، لأنها ملبوسة عليها ، وقيل أنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن واعناقهن ، وقال ابن عباس : تغطي شعرها وصدورها وترائبها وسوالفها " (٣٨) .

وجاء في (مستمسك العروة الوثقى) للسيد الحكيم (قد) عند التعليق على قول الماتن (صاحب العروة) :

ويجب ستر المرأة تمام بدنها عن عدا الزوج والمحارم . قال : وإجماعاً ، بل ضرورة من الدين ، ويشير إليه قوله تعالى : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) (٣٩)

(٣٧)- تفسير الصافي - للفيض الكاشاني- ٣ : ٤٣٠ ، تفسير الدر المنثور - للسيوطي- ٥ : ٤٠ .

(٣٨)- مجمع البيان ٥ : ٣٧ .

(٣٩)- مستمسك العروة الوثقى ٥ : ٢٣٩ .

نص شرعي آخر في وجوب الحجاب

٢- قال تعالى في سورة الاحزاب الآية (٥٩) :

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} .

قال صاحب " مجمع البيان " في تفسيره لهذه الآية الكريمة :

((الجلابب خمار المرأة يغطي رأسها ووجهها اذا خرجت لحاجة)) . ثم قال : ((أي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاء التي تشتمل بها المرأة)) (٤٧) .

وقال صاحب الميزان : قوله تعالى : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) .. الخ، الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب تشتمل به المرأة فيغطي جميع بدنها أو الخمار الذي تغطي به رأسها ووجهها .

وقوله : (يدنين عليهن جلابيبهن) أي يتسترن بها فلا تظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين .

ثم قال : ((وقوله : ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ستر جميع البدن أقرب الى أن يعرفن أنهن أهل الستر والصلاح فلا يؤذين أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن)) (٤٨) . انتهى .

(٤٧)- مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي - ١٨ : ١٨١ .

(٤٨)- الميزان في تفسير القرآن - للطباطبائي - ١٦ : ٣٣٩ .

و على أية حال فالآية الكريمة تدلّ على وجوب ستر المرأة لتمام بدنّها
إلاّ ما استثنى من ذلك كما سيأتي بيانه ، وتشخص بوضوح تام حدود
الستر اللازم للمرأة .

الاستثناءان الواردان في الآية :

أ- قوله تعالى (ولا يبيدين زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها) ، وهذا الاستثناء
عام بالنسبة لجميع الرجال .

قال (الزمخشري) في تفسيره (الكشف) :

((الزينة : ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب ، فما
كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب . فلا بأس بإبدائه
للأجانب ، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل
والوشاح والقرط فلا تبديه إلاّ لهؤلاء المذكورين)) (٤٠) .

ثم يقول : ((وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون
والتستر ، لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر
إليها لغير هؤلاء ، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس
والصدر والأذن)) .

ثم يقول مستفهماً :

((فإن قلت : قد سُمح مطلقاً في الزينة الظاهرة ؟ قلت لأن سترها
فيه حرج فإنّ المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة
الى كشف وجهها . خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح ، وتضطر

(٤٠) - سيأتي ذكرهم عند الحديث عن الاستثناء الثاني .

٦- أو أخواتهن .
٧- أو بني أخواتهن .
٨- أو أبناء أخواتهن .
٩- أو نسائهن - أي النساء المسلمات - .
١٠- أو ما ملكت أيمنهن .

١١- أو التابعين من غير أولي الأربة ، أي المجانين والبله الذين
ليست لديهم شهوة ، والذين لا يدركون ما في المرأة من جاذبية ..

١٢- أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .

ثم يعقب القرآن الكريم ويقول : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهنّ) . ويمكن أن نفهم من هذا الحكم المنع من كل شيء يسبب
إففات نظر الرجال كالعطور القوية ، وتجميل الوجه بشكل مثير
وغيره، وبشكل عام لا يجوز للمرأة أن تمارس فعلاً يؤدي الى إثارة
وتهيج الرجال عدا الزوج (٤٦) .

ثم يأتي النداء التربوي في نهاية الآية الكريمة مملوءاً بالرحمة ،
والتذكير بأن لا يتسامح الإنسان في تطبيق الأوامر الإلهية ، لأنّ
بتطبيقها نهاية الفلاح والفوز والنجاح ، قال تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

ومن أصدق من الله قولاً لقوم يوقنون .

* * *

(٤٦) - انظر مسألة الحجاب - للمطهرى - ١١١ .

إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها ، وخاصة الفقيرات منهن ، وهذا معنى قوله (إلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره ، والأصل فيه الظهور)) انتهى .

ومن الروايات التي جاءت في الموضوع ما رواه أبو داود في سننه : أنت أسماء بنت أبي بكر دار رسول الله (ص) (بيت أختها عائشة) وكانت ترتدي ثياباً تحكي عما تحتها ، فأدار رسول الله (ص) وجهه عنها وقال : (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا - وأشار على كفه ووجهه) (٤١).

وجاء في (الكافي) عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى (إلا ما ظهر منها) قال : (الزينة الظاهرة الكحل والخاتم) (٤٢) . وبالملازمة بين الزينة الظاهرة وموضعها يستفاد جواز ظهور موضعها وهو الوجه - موضع الكحل - والكفين - موضع الخاتم - . جاء في المستمسك ((.. إن استثناء ما ظهر من الزينة يدل على أن من الزينة ما هو ظاهر ، ولا يكون إلا بظهور موضعها ، فيدل على أن بعض جسد المرأة ما يجوز إظهاره ولا يحرم كشفه)) (٤٣).

وجاء في تفسير الصافي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) عن هذه الآية قوله : (هي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار . والزينة ثلاث : زينة للناس ، وزينة للمحارم ، وزينة للزوج ، فأما زينة

الناس فقد ذكرناه ، وأما زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها ، والدمج (٤٤) وما دونه ، والخلخال وما أسفل منه ، وأما زينة الزوج فالجسد كله) انتهى .

ب - الاستثناء الثاني في قوله تعالى : (ولا يبدین زینتھن إلا لبعولتھن... الآية) ، وهذا الاستثناء في لزوم حجاب المرأة بالنسبة الى صنف خاص من الرجال .

فقد حدد الإستثناء الاول مقداراً من الزينة التي يجوز إظهارها لعموم الرجال أما هذا الاستثناء فيحدد الأشخاص الذين يجوز إظهار مطلق الزينة أمامهم ، ما عدا العورة ، والتي يستفاد أن المراد منها - أي : العورة - بعد الجمع بين الروايات الواردة في المقام هو ما بين السرة والركبة (٤٥) .

واغلب الأشخاص الذين ذكرتهم الآية هي عين ما يدعى فقهيًا بـ " المحارم " وهم :

- ١- لبعولتھن .
- ٢- أو آبائھن .
- ٣- أو آباء بعولتھن .
- ٤- أو أبناءھن .
- ٥- أو أبناء بعولتھن .

(٤٤)- الدُمْلُج : سوار يحيط بالعضد (المعجم الوسيط : ٢٩٧) .

(٤٥)- يراجع : كتاب النكاح - للسيد الخوئي - ١ : ٧٠ .

(٤١)- سنن أبي داود ٢ : ٣٨٣ .

(٤٢)- الكافي - للكليني - ٥ : ٥٢١ .

(٤٣)- مستمسك العروة الوثقى ٢٧ : ١٤ .

الأخلاقي ، فلا يمكن تسمية ذلك سجنًا أو عبودية ، كما لا يمكن اعتباره منافياً للكرامة الانسانية والحرية .

وهناك في دول العالم المتمدن مثل هذه التحديدات في وقتنا الحاضر ، سواء للرجل أو المرأة . فإذا خرج الرجل عارياً او خرج بلباس النوم الى الشارع فسوف تلقي الشرطة القبض عليه لأنه ارتكب عملاً يتناقض وقيم المجتمع .

فحينما تقضي المصالح الاجتماعية والأخلاقية بإلزام الفرد برعاية اسلوب خاص في التعامل كأن يمنع عن الخروج بلباس النوم ، فإن مثل ذلك لا يعد عبودية ولا حبساً ، ولا يتناقض مع الحرية والكرامة الانسانية ، وليس بظلم ، ولا يعد بالتالي متعارضاً مع حكم العقل .

بل الأمر على العكس من ذلك ، فستر المرأة في الحدود التي قررها الإسلام العزيز يفضي إلى رفع كرامة المرأة وتعزيز احترامها ؛ إذ بالحجاب يحرزها ويصونها^(٧١) .

سؤال : قد يعترض آخر ويقول: إنّ الحجاب يؤدي الى تعطيل الفعاليات النسوية ويحرم المجتمع من طاقات المرأة التي منحها الله إياها .

الجواب : إنّ الحجاب الإسلامي لا يؤدي إلى تضييع قدرات المرأة أو تعطيل استعداداتها الفطرية ، وحجاب الإسلام لا يقول : يلزم حبس المرأة في دارها ، والحيلولة دون فعاليتها ونشاطاتها في المجتمع ،

(٧١)- مسألة الحجاب : ٧٥ .

يصافح المرأة إلا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها : أخت أو بنت أو عمة أو خالة أو بنت أخت أو نحوها ، فأما التي يحل له أن يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء ثوب ولا يغمز كفها^(٥٩) . وإلى غير ذلك من الاخبار)) . انتهى

وعن السيد الخوئي في " كتاب النكاح " :

((يكره اختلاط النساء بالرجال إلا للعجائز... وذلك لمعتبرة غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام [الامام الصادق] : قال امير المؤمنين عليه السلام : (يا أهل العراق نبئت أن نسائكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحون !؟)))^(٦٠). انتهى

فترى أنّ الإسلام العزيز لا يمنع المرأة من الخروج الى خارج المنزل ، أي لم يحرم ذلك عليها ، إلا أنه كره لها عند الخروج أن تختلط بالرجال .. لأن الإسلام جعل مثلاً طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وهي في خروجها لطلب العلم عليها أن تراعي جملة من الضوابط منها : عدم الاختلاط بالأجانب ، ومنها: عدم الخلوة بالرجل، ومنها : عدم النظر بتلذذ وشهوة للطرف الآخر. ومنها : لبس الحجاب الإسلامي الصحيح، وليس كما نراه اليوم من بعض (النساء) اللاتي يرتدين الحجاب أو قل تشكيلة حجاب من ربطة لا تستر الرقبة ومن ثوب لا يستر الرجلين واليدين ، أو: من ثوب يبرز

(٥٩)- المصدر السابق .

(٦٠)- كتاب النكاح ١ : ١١٥ .

الحجاب بين سؤال وجواب

سؤال : قد يعترض معترض فيقول: إنّ الحجاب يسلب حق الحرية للمرأة ، الذي هو حق طبيعي للإنسان..وبعبارة أخرى أنّه ظلم بحق المرأة وحق حريتها ، والعقل والشرع يرفض حجب أحد وأسر حريته ، فما تقولون ؟!

الجواب : نقول يلزم التذكير بالفرق بين حبس المرأة في المنزل ، وبين ادراك ما يتوجب عليها حين تواجه الرجل الاجنبي ، وهو أن تكون محبة .

فالإسلام لا يقول : على المرأة أن لا تخرج من دارها . ولا يقول : ليس للمرأة حق في التعليم وتحصيل العلم ، بل العكس الإسلام يرى أنّ طلب العلم فريضة مشتركة يتحملها كل من الرجل والمرأة ، كما أنه لم يحرم نشاطاً اقتصادياً خاصاً على المرأة .

فإنّ مسألة سجن المرأة أو اسارتها لا وجود لهما في الإسلام ، والحجاب وظيفة تقوم بها المرأة عند مقابلتها أو مواجهتها للرجل ، فإنّ على المرأة حينما تتعامل مع الرجل أن تراعي اسلوباً خاصاً في لباسها ..وهذه المسؤولية لا تُعد تناقضاً مع كرامتها الإنسانية ، كما لا تُعد تجاوزاً لحقوقها الطبيعية التي منحها الله .

وإذا كانت رعاية بعض المصالح الاجتماعية تؤدي الى تحديد حرية الرجل أو المرأة كالتزامها باسلوب خاص بالتعامل ، أو إتباع المرأة شكل خاص في الحركة ، بحيث لا تربك الآخرين ، ولا تفقد التوازن

(تقاطيع)جسمها بشكل واضح،وهذا اللباس - وبهذه الكيفية - يكشف في الحقيقة عن شخصية صاحبه (الضائعة) بين الحق والباطل بل أنّه يثير السخرية لهذا الجمع بين المتناقضات من الستر والتهتك !! (٦١) .
والمرأة اذا خرجت في طلب العلم ، ولم تستطع أن تطبق هذه الضوابط الإسلامية - لمؤثرات خارجية مثلاً - فإن الخير لها أن تجلس في بيتها وتتجه إلى عبادة ربها وطاعته ، فإنّ طاعة الله ، والفوز برضوانه في الدنيا والآخرة هو خير لها من تعلّم مسائل معدودة من علم الفيزياء ، أو الكيمياء ، أو الرياضيات أو غير ذلك ..
تخسر على أثره دينها وشخصيتها الإسلامية ..و "الجاهل" من يبيع الكثير الباقي بالقليل الزائل !!.. قال تعالى : (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْئَةً تَعْلَمُونَ) (٦٢) .

وببيان هاتين الآيتين من سورتي (النور) و (الاحزاب) اللّتين بيّنتا كيفية الستر والحجاب للمرأة المسلمة ، وكيفية خروج المرأة في

(٦١)- قال النبي (ص) : (سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات) ... [تقدمت الإشارة الى مصادره أول الكتاب] ، فقله (ص) : (كاسيات عاريات) هو إشارة منه (ص) الى هذا الجمع بين الاضداد في لباس المرأة من الستر والتهتك في آن واحد كما هو حال نساء زماننا اليوم . وكذلك نجد العلامة الاخرى الواردة في هذا الحديث والذي يعتبر من معجزات النبوة قد تحققت أيضاً، وهي قوله (ص) : (رؤوسهن كأسنمة البخت) أي البعير . وذلك لما نشاهده من نساء هذه الايام حين يجعلن مقدمة الرأس مرتفعة كأنها سنام البعير أو ما يسمى في صالونات التجميل بـ " الباف " وهنا نقول اذا رأى المسلم من النساء اللاتي تحققت عندهنّ هذه العلامة (فليشترها) بعدم دخول الجنة وعدم شم ريحها كما أخبر بذلك الصادق الأمين (ص) .

(٦٢) سورة القصص : الآية (٦٠) .

ومن هنا نلاحظ أنّ الشباب الغيور على نفسه وعرضه يرغب بالاقتران بالفتاة المحببة المؤمنة دون غيرها ، وأذكر مرة جاني أحد الاصدقاء وهو يقول : انقذني ممّا أنا فيه وابحث لي عن فتاة محببة مؤمنة أريد الاقتران بها ، قلت : ما الخبر ؟ قال : لقد فقدت الثقة بكل الفتيات من هول ما أراه من تصنعهن أمام الشباب ، ومن تبرجهن بلا خجل ولا رادع ، فانا لا أضمن إن اقترنت بهكذا نوع من الفتيات أن تكون زوجتي مخلصّة لي وحدي ، كما لا أضمن أنّ هذه الفتاة السافرة تكون أمّاً صالحة لأطفالي ، فارجوك ساعدني في البحث عن فتاة مؤمنة محبّبة كي أتزوجها .. واستمر البحث فترة حتى وجدنا تلك الفتاة ، فقد كانت بحق جوهرة تستحق أن يبحث عنها وأن يُتحمل الصعاب في سبيل الوصول إليها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ! .

المجتمع (مصونة) محترمة ، وببيان فتاوى الفقهاء في هذا الشأن . تم لنا ما أردنا ذكره من النصوص الشرعية التي جاءت في بيان هذا اللباس الإلهي العظيم الذي به تصان المرأة ، ويصان الرجل ، و به يتغلب البعد الإنساني فيهما على البعد الحيواني الغريزي الذي يثيره التبرج والاختلاط المحرم ، و هو الأمر الذي سنعرض لبياناه في حديثنا القادم عن "حكمة الحجاب" ، وبالله التوفيق .

* * *

حكمة الحجاب

إنَّ حكمة الحجاب كما بينَّتها لمحدثتي "المعلمة" السابقة حال حديثي معها وأبينها لقارئ العزيز الآن ، يمكن حصرها في نقاط أربع :

النقطة الأولى : تحقيق التوازن النفسي .

إنَّ حرية الاختلاط بين الرجل والمرأة دون قيد أو شرط ، وارتفاع الحاجز بينهما يرفع نسبة الاضطرابات النفسية ويزيد من الأمراض الجنسية ، ويحوّل طلب الجنس واللذة الى عطش روحي وحاجة غير قابلة للإشباع . فالغريزة الحيوانية في الإنسان قوية وعميقة وكلما استجاب الانسان لها إزداد هيجانها ، كالنار التي كلما أُطعمت ارتفع أوارها ولهيبها .

وكما يذكر التاريخ ذوي الجشع المالي يذكر كذلك الجشعين في سيطرة الغرائز الحيوانية عليهم كهارون الرشيد الذي كان يملك من الجواني والنساء اعداداً بحيث لا يصل دور بعضهن خلال السنة الكاملة . أو كخسرو الملك الفارسي الذي كانت لديه ثلاثة آلاف امرأة وكان اذا سمع بوجود فتاة حسناء في أقصى الارض طلبها وبعث إليها من يحضرها عنده .

إنَّ الغريزة الجنسية لها جانبان : الجانب الجسمي ، والجانب الروحي ، فمن الناحية الجسمية محدودة ، حيث أنَّ حاجة الرجل العضوية يمكن أن تشبع بأمرأة واحدة أو امرأتين ، أمّا من حيث طلب التنويع والشوق النفسي ، فالمسألة ذات شكل آخر ، إذ إنَّ الطبيعة

فإنَّ وضع حاجز وحد بين الرجل والمرأة هو من جملة الوسائل الغامضة التي تستفيد منها المرأة لحفظ مقامها أمام الرجل .

وقد حضّر الاسلام على الإستفادة من هذه الوسيلة - أي الحجاب - لتزداد المرأة رفعة وعزة وخصوصاً أنَّه كلما تحركت بشكل أكثر وقاراً وعفة ، وامتنعت عن عرض نفسها أمام الرجل كلما ازداد احترامها لدى الرجل ^(٦٩) . وجاء في مقال نشر في مجلة (Stem) الصادرة في هامبورغ في المانيا الغربية منذ سنوات : " أنَّ الاولاد الصغار بين ١٤ أو ١٦ الذي يتأهلون للعمل يقولون حينما يبحث امر الزواج أمامهم : أنا اتزوج ؟ لماذا ؟ انني استطيع الحصول على اي فتاة في العمل وعلى كل ما أريد دون أن اتزوجها !! " .

فترى أنَّ اتصال المرأة الدائم بالرجال اثناء العمل قد قلّ من حدة شعورهما الحقيقي تجاه بعضهما البعض ، فلم يعد للمرأة شوق الى الرجل ، وأصبح الرجل - بالنسبة إليها - شيئاً عادياً وكذلك الرجل فإنّه لم يعد يتشوق للمرأة لأنّها تحت نظره في كل لحظة وسهولة التناول، كما أنَّه لم يعد يشعر بالاحترام نحوها، لأنها أصبحت رخيصة، سهلة التناول، لذا تجد شباب اليوم لم يعودوا يتخرجون من الخوض في مواضيع او نكات فاحشة عميقة بمحضر من زميلاتهم ^(٧٠) .

(٦٩)- انظر : مسألة الحجاب - للمطهري - : ٦٣ - ٧٠ .

(٧٠)- التكامل في الاسلام - لأحمد امين - ٦ : ٧٨ .

النقطة الرابعة

تحقيق رفعة المرأة واحترامها .

إنّ الحجاب يرفع من قدر المرأة ويزيد من احترامها في المجتمع وقد مر بنا قوله تعالى: { ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ }^(٦٧).

فقد ذكر المفسرون عن سبب نزول هذه الآية : أن جمعاً من المنافقين كانوا يقفون ليلاً عند ابتداء دخول الظلام على مفترق الطرق وعلى رأس الأزقة للاعتداء على الإماء^(٦٨) . والإماء لم يكن الستر عليهن واجباً لعدم رغبة الرجال فيهن وباعتبار منزلتهن من الخدمة في البيت ، وقد يعترض هؤلاء الشباب المنحرفون أحياناً سبيل الحرائر من النساء ، بإدعاء أنهم حسبوا كونهم إماء ، ومن هنا نزل الحكم للنساء الحرائر بان لا يخرجن من بيوتهن دون حجاب كي تُشخص الحرة من الأمة بشكل كامل ، فلا يتعرض لهنّ أحد .

فكما ترى أنّ الحجاب صار علامة على عفاف المرأة وعزّتها على الرجال ، وبالتالي لا تقع مورداً لأذى الطائشين .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر أنّ في الحجاب سحر خاص يضيفه على المرأة ، فإن كان الرجل متفوقاً جسمىً على المرأة إلا أنّ المرأة اثبتت على الدوام أنّها قادرة على السيطرة على الرجل عاطفياً وقلبياً

الإنسانية غير محدودة في مطالبها الروحية ، وهو كروح طالب لا نهاية لطلبه ، وحينما تختلط المطالب الروحية بمسير الأمور المادية فلا نصل عندئذ الى نهاية ، فكلما بلغنا مرحلة ، يطلب الانسان الوصول إلى مرحلة أخرى ، وهو في إطلاق العنان لغرائزه الجنسية وعدم وجود شروط أو ضوابط تحد من فورانها وهيجانها ، نهم لا يشبع حتى لو امتلك حسناوات العالم جميعاً ، لا يقول : كفى ، لقد شبعنا ، فهو كجهنم (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) ، فالإشباع في هذه الحالات أمر غير ممكن وإذا أراد شخص أن يرد هذا السبيل ويطالب بالانفتاح على النساء بدون قيد أو شرط كي يشبع غريزته الجنسية فهو يشبه تماماً من يريد أن يطفأ النار بالحطب .

والإسلام أمام هذا الواقع الغريزي الذي يحياه الانسان في طبيعته ألزم الانسان بأمرين يتمكن من خلالهما المحافظة على توازنه النفسي والابتعاد عن خطورة تحويل المجتمع الإنساني الى مجتمع حيواني لا يهّمه سوى إشباع الغرائز ، وهذين الأمرين هما : الاول : إرضاء الغريزة في حدود الحاجة الطبيعية بالزواج سواء الدائم او المنقطع^(٦٩) . والآخر : الحيلولة دون تهيج الغريزة وإثارتها وذلك بفرض الحجاب على النساء ووضع ضوابط في علاقة الرجل بالمرأة

(٦٣)- الزواج المنقطع لا يعد منسوخاً في الشريعة الإسلامية [راجع كتابنا : دليل المؤمنين في الرد على المخالفين ، المسألة العاشرة] وفي تطبيقه يحصل العلاج للكثير من المشاكل الجنسية التي يعاني منها شبابنا اليوم .

(٦٧) سورة الاحزاب : الآية (٥٩) .

(٦٨)- الأمة : المرأة المملوكة وهي خلاف الحرة (المعجم الوسيط : ٢٨) .

كحرمة النظر الى بعضهما البعض " فكم من نظرة أورثت حسرة " لأنّ النظر يفقد الانسان توازنه النفسي ؛ إذ تجعله هذه النظرات يعيش الحسرات والآلام النفسية في سبيل إشباع هذه الغريزة الجنسية التي لا يمكن اشباعها في جانبها الروحي ابدًا .

كما أنّ الواقع يشهد أنّ هذه النظرات المحرّمة كانت سبباً في هدم بيوت وخراب عوائل كانت تعيش بسعادة وأمان ، لأنّ الانسان بعد أن يطلق العنان لنفسه بالنظر إلى من يشاء من النساء، فإنّه لابدّ له يوماً أن يتعلّق قلبه بواحدة منهن ، وإذا حصل له هذا التعلّق وهو حاصل بفعل الموجات المختلفة التي تبعثها كل من عيني الرجل والمرأة فإنّ له الويل في أمره ، فهو إن كان متزوجاً فإنّه سيسعى إلى تطليق زوجته من أجل الارتباط بهذه المرأة الجديدة وإن لم يكن متزوجاً فإنّه سيبقى يعاني من الحالات النفسية التي يسببها له هذا العشق والتعلّق الذي قد يفقده عقله كما حصل لكثيرين وليس بعيد عليك قصة ليلي ومجنونها ، مع ملاحظة أنّ هذه النظرة التي تولّد هذا "التعلّق" لا تكون كافية وافية في الكشف عن جوانب الطرفين ، والتحقّق من امتلاك أحدهما للمواصفات المطلوبة في الزوجة الصالحة او الزوج الصالح ، وكم سقط مخدوعون في هذا "المستنقع"؟!.. هذا إذا فرضنا أنّ هذا الرجل سيسلك الطريق الشرعي في رغبته بالاقتران بمن تعلّق قلبه بها ، أمّا لو سلك الطريق الآخر وهو الارتباط غير الشرعي بمن تعلّق قلبه بها فهذا معناه السقوط التام للطرفين فإنّه لا يمكن لك أن

بل اخبرني الصدق ، قلت : إنّ الخطأ فيك وفي تربيتك ، ياعم اذهب وابحث عن ابنتك ، فقال : يعني أنّه ليس عندكم (سفرات) ؟ !! قلت : لا ، لا توجد مثل هذه السفرات . فجلس الرجل يبكي وقد وضع رأسه بين ركبتيه وهو يقول : يا للعار ، لقد (ضاعت) ابنتي مني !!.. وأقول للأباء ، أنّ سبب ضياع أبنائكم وبناتكم هو أنتم بالدرجة الاولى، لأنكم لم تعدّوهم الإعداد الكافي لسد الهجمات (الشيطانية) عليهم ، فجاءت (نقمة) الاختلاط بلا ضوابط ، لتجرف هؤلاء (التائهين) ولتأخذهم بعيداً عن عزّتهم وكرامتهم الى حيث الذل والعار الذي لا يُغسل !!.. فسارعوا أيّها الأباء لإنقاذ أبنائكم وبناتكم بل إنقاذ كرامتكم قبل ان تطأطأوا رؤوسكم^(٦٦) !!..

(٦٦)- ظهر بعد متابعة الأب لموضوع ابنته أنها كانت تخرج بعد إنتهاء دوام المعهد مع "زميل" لها !!.. وبعد تحقّق الأب معها تبين أنهما كانا يذهبان الى مكان ما ، وأنها سلمته نفسها وكانا يمارسان الفاحشة طيلة الأسابيع الماضية .. وقرر الأب غسل العار الذي لحق بعائلته على الطريقة العشائرية بأن يذبح ابنته ، فهربت البنت من البيت وعاشت الضياع الحقيقي وسط الناس !!.. نقول : كل ذلك جرى بسبب التقصير في التربية الأبوية مع وجود حالة الاختلاط بلا ضوابط في المعاهد والجامعات وما تعيشه هذه المعاهد من الحفلات في نواديها حتى كأنّها صارت دوراً للملاهي لا دوراً لطلب العلم !! والله وحده يعلم أين سينتهي الأمر بطلابنا الاعزاء إذا بقيت حالة التسيب هذه !!..

أيها الآباء

سارعوا لانقاذ ابنائكم وبناتكم!

ذكرتُ قبل قليل جانباً من مشاكل الاختلاط بين الطلاب والطالبات وخاصة في المعاهد والجامعات التي تؤكد الملاحظات الميدانية أن نسبة ٩٠% من الطلاب والطالبات يرغبون في دخول المعاهد والجامعات لا لطلب العلم بل للحصول على "نعمة" الاختلاط المحرم ، وهو في الحقيقة نقمة وكارثة حلت بين أظهرنا ، وإليك حكاية واحدة من مئات الحكايا التي تنزف جراحاتها في جسد الإسلام العزيز نزفاً ، لأننا ننظر الى المسلمين كعائلة واحدة وجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى !! فانصت لما يجري .

يقول الاستاذ () ، وهو مدرس في إحدى المعاهد : كنت اجلس في غرفة الاستعلامات في المعهد بعد انتهاء الدوام الرسمي ضمن الواجب الدوري للخفارات بين الاساتذة في المعهد ، فجاء رجل كبير السن يسأل عن ابنته ، فقلت : ياعم أنّ الدوام قد انتهى ولم يبق أي طالب أو طالبة في المعهد ، فقال : إنّ ابنتي قد أخبرتني أنكم تقيمون سفرات في المعهد بين فترة وأخرى ، وهي تذهب في هذه السفرات ولا تأتينا إلّا بعد الساعة السادسة مساءً وهذه المرة قد تأخرت علينا (مع العلم أنّ الدوام الرسمي للمعهد ينتهي الساعة الثانية ظهراً) .

يقول الاستاذ () وقد كان من المؤمنين الأخيار : نظرت إليه نظرة احتقرته بها ، ثم قلت له : هل تريد أن أقول لك الصدق أم لا ؟ قال :

تظن أن الزاني يستطيع أن يكون زوجاً مخلصاً أو أباً مرشداً أو صديقاً أميناً أو عنصراً شريفاً في المجتمع لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه ، وهو بفعله الزنا يكون قد فقد عامل الإخلاص والرشاد والأمانة والشرف في نفسه ، وما يقال هنا بحق الرجل الزاني يقال بحق المرأة الزانية كذلك .

ومن أجل هذا جاء التوجيه القرآني في المحافظة على شخصية الطرفين بفرض الحجاب وغطّ البصر فقال عزّ من قائل : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ..﴾ صدق الله العلي العظيم (٦٤) .

النقطة الثانية : تحقق الترابط الأسري .

لا شك أنّ كلّ أمرٍ يؤدي الى إحكام العلاقة الأسرية، ويفضي إلى خلق روح المودة الصميمية بين الزوجين هو أمر نافع للأسرة، يجب بذل أكبر ما يمكن من الجهد لتحقيقه. وعلى العكس كل أمرٍ يؤدي إلى إضعاف العلاقة بين الزوجين وإخماد جذوة الحب بينهما، أمر مضر بالحياة الأسرية، ويجب محاربته.

(٦٤)- سورة النور الآيتان (٣٠-٣١) .

ومن الواضح أن اختصاص الإثارة الجنسية في محيط الأسرة وتحت ظل الزواج يعمّق العلاقة بين الزوجين ويؤدي إلى تلاحمهما بشكل أكبر.

واتساع نطاق هذه الإثارة خارج محيط الأسرة يكون عامل هدم وتفكيك لها فإنّ المرأة المتبرجة إذا خرجت من بيتها فإنّ أمرها لا يخلو من شيئين: فإمّا أن تكون عامل فتنة لغيرها من الرجال بما تظهره لهم من مفاتنها ، وقد ذكرنا سابقاً ما تفعله هذه النظرات من خراب للبيوت وتفريق للعوائل ، هذا بالنسبة إلى الرجل .

أو تكون هي - بسبب تبرجها - عرضة لكلمات الغزل ونظرات الإعجاب التي قد تتأثر بها يوماً فتجعلها ترغب في رجل غير زوجها إن كانت متزوجة ، وقد تقدّم ما لهذه الرغبة من دور خفي في هدم صرح الزواج الغالي ، أو تسعى في إقامة علاقة غير منضبطة قد تكون سبباً في تحطيم حياتها إلى الأبد .

فمن هنا كان للستر والحجاب دور مهم في تحقيق الترابط الأسري لأنه يردع عوامل الفتنة العامة في المجتمع كما يردع عوامل الفتنة الخاصة في نفس المرأة بحيث يجعلها زوجة لرجل واحد لا مطمعاً لكل الرجال.

النقطة الثالثة : تحقيق التماسك الاجتماعي .

إنّ جر عوامل الإثارة الغريزية من الأسرة إلى المحيط الاجتماعي العام يؤدي إلى اضعاف النشاط والفعالية الاجتماعية .

فإنّ الذي يؤدي الى تعطيل الطاقة العملية للمجتمع هو تلويث العمل بالممارسات الشهوانية .

ولك أن تتساءل أيّهما افضل لاقتدار الطلاب على التحصيل العلمي والإصغاء لمحاضرة الأستاذ ، أن يعكف الفتى والفتاة على تحصيل العلم في صفوف مستقلة ، أو يحصلان العلم معاً في صف دراسي مشترك مع ستر الفتيات لأجسادهن ، دون اي تجميل او زينة، أم أن يجلس الفتى الى جانب الفتاة المترينة المرتدية ثياباً تسفر عن ساقها؟! . ولك أن تتساءل - أيضاً - أيّهما اقدر على العمل وأيّهما أقدر إنتاجاً ، العامل الذي يواجه الفتيات المثيرات أم الرجل الذي لا يواجه الإثارة؟! . إذا لم تصدق فسل العاملين في الأزقة والأسواق والمعامل والمؤسسات الإدارية ، فإنّ كل مؤسسة تريد أن تسيّر أعمالها بجدية ، تحول دون مثل هذا الاختلاط ، وإذا لم تصدق اذهب وتحقق^(٦٥) .

فإن المؤسسات الإنتاجية تعلم جيداً أنّ العامل سوف لا يركز على عمله جيداً لو وضعت الى جنبه فتاة تظهر له ذراعيها ونصف ساقها وأن وقت العمل سيقضيه كل منهما في إطلاق النظرات بينهما وتكلف الكلمات الغزلية ، وإن عملاً شيئاً فإنّ قدرة التركيز تكون أضعف ممّا لو كان كلّ منهما يعمل على انفراد أو كانت المرأة التي تعمل الى جنبه محجبة وملتزمة بالشرعية .

(٦٥)- وأتذكر مرة أني قرأت في إحدى المجلات نقلاً عن مجلة (نيويورك تايمز) : أن مدرسة استطاعت أن ترفع اسمها من لائحة المدارس التي تعاني ضعفاً في مستواها العلمي بعد منعها الاختلاط بين الجنسين ..فلاحظ .

مفكرهم اسمه " راسل " له كتاب اسمه " الأخلاق الثانوية " حيث يقول فيه : لم يصّر الآباء والامهات على ستر عوراتهم أمام اطفالهم فهذا الاصرار نفسه سبب لاثارة تساؤلاتهم ، فإذا لم يسعّ الوالدان الى اخفاء العضو التناسلي ، فسوف لا تحصل مثل هذه الاثارات الفارعة ، يلزم الوالدين أن يكشف عوراتهما لأطفالهما ، لأجل أن يطّلع الاطفال منذ البدء على ما هو موجود !!... انتهى كلامه.

ومثل "راسل" شياطين بشرية كثيرة تدعو بهذه الدعوات ، وهي إن لم تكن تدعو لها بشكل علني ، فإنّها تدعو إليها من طرف خفي ، والناطق الرسمي على لسانها هو " الشيطان الرجيم "!!... *

الجاهلية الاولى .. والجاهلية الثانية

لقد مرت البشرية بمرحلة من مراحلها ، لم تؤمن فيها بوحدانية الله جل وعلا ، ولم تأخذ منه منهجاً تنظّم به حياتها وتدير دفة شؤونها ، فكانت النتيجة أن استولى عليها الشيطان استيلاءً تاماً الى درجة أنّه قادها الى ارتكاب اشنع الفواحش في أقدم الاماكن وأقدس الاوقات ، وهو الطواف عراة حول بيت الله " الكعبة المشرفة " وفي موسم الحج . فقد كان الجاهليون يطوفون عراة رجالاً ونساءً وعوراتهم بادية يتقربون الى الله بذلك^(٨٥) ، وقصة المرأة التي ألزموها بذلك

(٨٥) - لقد قال الشيطان الرجيم - لعنه الله - كما حكى (القرآن) عنه حين وسوس لأدم وحواء (ع) : { إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } الاعراف : ٢٠ .. فلا نستغرب بعد هذا أن تأتي نصائح الشيطان لأولئك الجاهليين بهذا الشكل كأن يقول

بل على العكس تماماً من ذلك فانه يبرز طاقاتها ويمكنها من الابداع في مجالات عملها أكثر مما لو كانت غير محجبة .

لأنّ الحجاب الإسلامي يحصر الإثارة الجنسية في محيط المنزل والزوجة المشروعة ، ويترك المحيط الاجتماعي محيط انتاج وعمل ، ولك أن تتصور الامر لو حدث العكس في المحيطين .

سؤال : قد يقول قائل : إنّ ايجاد الحاجز بين الرجل والمرأة يؤدي إلى ارتفاع نسبة الشهوة الغريزية وعلى قاعدة "الانسان حريص على ما منع" فيايجاد الحاجز والمانع يزيد في حرص ورغبة الرجل والمرأة بالجانب الغريزي ، مضافاً إلى أن قمع الغرائز يفضي الى الوان من الاضطراب النفسي والأمراض النفسية ؟!

الجواب : لا إشكال في أنّ قمع الغرائز يفضي إلى الوان من الاضطراب النفسي والأمراض النفسية ، ولكن من قال بأنّ الاسلام يدعو إلى قمع الغرائز وهي ممّا منح الله الانسان من قابليات وقدرات ، بل الإسلام يدعو إلى تهذيب هذه الغرائز وجعلها بحيث يكون لها دور فعال في بناء المجتمع الانساني لا أداة لهدمه وتحويله إلى مجتمع بهيمي يتساوى هو والحيوان في عرض واحد .

فانه يجب الالتفات الى أنّ رفع القيود الاجتماعية في علاقة الرجل والمرأة لا يحلّ المشكلة بل يزيدّها تعقيداً ، فانه يترك الطبيعة الجنسية هائجة والتي كلما ازداد العرض أمامها ازداد الهيجان واحتد الميل للتنوع .

فإن الحرية في المسائل الجنسية تؤدي الى اضطراب الشهوة بجشع وحرص .

وماذا يقول اصحاب هذه الدعوة - أي دعوة انفتاح الجنسين بعضهم على بعض بلا موانع معينة كي لا تحصل الانحرافات الجنسية من "اللواط" وغيره على حد زعمهم - وهم يرون بأن أعينهم أوروبا التي فتحت الباب على مصراعيه ، واطلقت عنان الحرية الجنسية ، وها نحن نقرا خبراً في بعض الصحف يقول : بحكم أن الشعب الانجليزي وافق عملياً على هذه الممارسة - يعني "اللواط" - تلزم السلطة الشرعية الموافقة عليه .. أي أنه حصل استفتاء قهري على هذا العمل ، والأنكى من ذلك ذكرت بعض المجلات : أن البنين يتزاوجون ببعضهم في بعض البلدان الاوربية !! (٧٢) .

فهل اقتنع - بعد هذا - اصحاب هذه الدعاوى بأن الانحرافات الجنسية ليس سببه تنظيم علاقة الرجل بالمرأة كما يريد الإسلام من وجوب ارتداء المرأة للحجاب وعدم الاختلاط ، وإنما سببه تلك الحرية الهوجاء التي تقلب الموازين جميعاً وتجعل الرجل بدلاً من ان يتوجه بطبيعته إلى المرأة ويتخذها زوجة له ، لأنها عشه الدافئ الذي خلقه الله له (٧٣) ، تراه يتوجه الى رجل مثله يلتبس عنده العش الدافئ ، وياله من حال يائس وتعيس كان السبب فيه هو اطلاق العنان

(٧٢) - مسألة الحجاب : ٨٧ .

(٧٣) - قال تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } .

التبرج.. والزينة.. تفعلهما النساء

بوحى من " إبليس " !!

هل تعرف المرأة (المتبرجة) بأن أول داعية لدعاة التبرج والعري هو ابليس - لعنه الله - ، فقد ذكر القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع منه ، قال تعالى :

{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا .. } (٨٣) .

فقوله تعالى (ليُبدي) أي ليظهر لهما ما خفي وستر عنهما من عوراتهما حيث كان كل من (آدم) و (حواء) - عليهما السلام - لا يريان عوراتهما من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر ، وإظهار (العورات) جاء نتيجة لوسوسة ابليس ، ومكائده الخفية .

كما قال تعالى في موضع آخر من كتابه العزيز :

{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ .. } (٨٤) .

وبملاحظة هذه الآية ، والآية التي قد سبقتها ، تعالوا معي ، لننظر إلى شيطان ظهر لنا بصورة انسان ، ويعتبره الغرب واحداً من

(٨٣) سورة الاعراف : الآيتان (١٩-٢٠) .

(٨٤) سورة الاعراف : الآية (٢٧) .

[مشيرة الى أن هذه اسماء من لها في الركب].

فصاح الرجل بهذه الاسماء، فأنتى أربعة شباب ، فقال لها : مَنْ هؤلاء؟
فلتت : { المال والبنون زينة الحياة الدنيا } .
[أي أنهم أبناءها].

ثم التفتت الى أبناءها الأربعة وتلت : { يا أبت استأجره إن خير من
استأجرت القوي الامين } .

[مشيرة إلى أبناءها بأن يعطوا أجرة للرجل].

فأعطوه بعض الشيء ، فاستقلته " فضة " ، وتلت : { والله يضاعف
لمن يشاء } فزادوه .

وسأل الرجل الشباب الاربعة عن عادة أمهم هذه ؟

فقالوا : هذه (فضة) جارية الزهراء . وما تكلمت إلا بالقرآن منذ
عشرين عاماً!!!.

للغرائز بلا ضوابط مع غياب الموجّه السليم لها !! . أمّا الانحرافات
الاخلاقية من العلاقات المحرّمة في إطار العائلة الواحدة فحدّث ولا
حرج من حصولها في المجتمع الاوربي ، فهل افادتهم هذه الحرية في
الحد من هذه الغريزة أم جعلت أحدهم ينزو كالحيوان على أمّه أو
ابنته أو ينزو على جاره باحثاً عنده عما يطفئ به غريزته التي فلتت
من ضوابطها الدينية والاجتماعية الرادعة ..

وهل يطفئ الزيت النار ؟!!^(٧٤) . فلا علاج لكل المشاكل الجنسية إلاّ
بإتباع سبيل الإسلام وتطبيق ما أمر الله به في هذا المضمار ، لأنّ
الخالق هو وحده الذي يعرف ما يصلح مخلوقه ، قال تعالى: {وَلَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ
الْوَرِيدِ} ^(٧٥) . وقال تعالى: {وَلَا يَنْبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} ^(٧٦) .

(٧٤) - ذكرت مجلة (حضارة الإسلام) في عددها الصادر في ربيع ١ - ١٣٨٦ هـ
وتحت عنوان (شباب مخنثون يغرقون السويد ويزحفون إلى كل الغرب) استكهولم :
إنها موضة الشباب الذين يتخنثون فيطيلون شعر رؤوسهم ويستعملون أحمر الشفاه
والبودرة ويزججون حواجبهم ويعمدون إلى تقليد الاساليب النسائية كلها ويعرف
هؤلاء باسم (البوب) أو الشباب اصحاب الشعر الطويل . وتعتبر السويد -
وعاصمتها استكهولم على الأخص - المركز الرئيسي لهؤلاء المخنثين !!.. وقد
كانت هذه الظاهرة منذ سنوات أمراً شاذاً ، أما اليوم أصبح التخنيث فلسفة وطريقة
خاصة في الحياة ، كما يزعم المخنثون .. ويقول هؤلاء أن تخنيثهم جعلهم صنفاً
مرغوباً من قبل النساء .. فهنا الحرية الإباحية !! انتهى .

(٧٥) سورة ق ، الآية (١٦) .

(٧٦) سورة فاطر ، الآية (١٤) .

أعظم المصائب التي مرت على أهل

البيت النبوي - عليهم السلام - هو

خروج نسائهم أمام الناس بعد وقعة كربلاء

الحجاب في المنظور الاسلامي لا يعني تغطية جسد المرأة بقطعة من القماش فحسب ، بل هو أبعد من ذلك وأعمق ، إنه يعني الستر والحفاظ على الناموس والشرف بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، وهتك هذا الستر - بأي نوع من أنواع الهتك كان - هو مدعاة للهم والغم والحزن الذي لا ينقضي أبداً .

ومن هنا نفهم عمق الآلام والأحزان التي عاشها أهل البيت (ع) إثر واقعة الطف ، إن هذا الحزن لم يكن مصدره قتل الحسين (عليه السلام) فقط ، رغم أن هذا الأمر كاف - لوحده - لكي يكون سبباً للهم والغم أبد الدهر ، وكذلك لم يكن مصدره مقتل ثمانية عشر رجلاً من نجوم الارض من آل عبد المطلب ؛ إذ القتل للرجال عادة ، وكذلك ليس هو ذبح عبد الله الرضيع من الوريد الى الوريد ، ولا هو التمثيل بالجثث الطواهر الزواكي ، وإنما كان سبب الهم والغم والحزن الذي عاشه أهل البيت النبوي (ع) بعد واقعة الطف هو خروج نسائهم أمام الناس إثر هذه الواقعة ، وهو الأمر المهول الذي جرى في رحلة السبي من كربلاء الى الكوفة ، ومن ثم من الكوفة الى الشام، وإلى هذا المعنى أشار الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) (عليه السلام) حينما دخل عليه أحد أصحابه وهو أبو حمزة الثمالي ووجده يبكي فقال له : سيدي ما هذا

قال : أين تقصدين ؟

فتلت : {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} ال عمران : ٩٧

[أي تقصد بيت الله الحرام] .

قال : ومتى انقطعت عن القافلة ؟

فتلت : {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}

الاعراف : ٥٤

[أي أنها انقطعت عن القافلة منذ ستة ايام] .

قال : أتشتهين الطعام ؟

فتلت : {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} الانبياء : ٨

[أي أنها محتاجة الى الطعام باعتبارها جسداً].

فأطعمها ، ثم قال لها : عجلي بالسير معي .

فتلت : {لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة : ٢٨٦

فقال : أردفك خلفي على الناقة .

فتلت : {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} الانبياء : ٢٢

[تشير الى أن اختلاطهما في ناقة واحدة مفسد لهنفسيهما] .

فنزل وأركبها .

فتلت : {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا} الزخرف : ١٣

وحين أدرك الركب قال لها : ألك أحد فيه ؟

فتلت : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) ، (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ) ، (يَا مُوسَى

إِنِّي أَنَا اللَّهُ) ، (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) .

نموذج من تربية أهل البيت (ع)

"فضة" خادمة الزهراء

ولنأخذ نموذجاً آخر من النساء اللاتي تخرجن من جامعة أهل البيت - عليهم السلام - .

روى الرواة أنّ امرأة أصلها من الهند تسمى " فضة " كانت تختلف وتتردد إلى بيت فاطمة سيدة نساء العالمين (ع) تعينها على بعض الأعمال البيتية ، وأنها أصبحت بعد ذلك من القانتات الصالحات ، وبقيت بعد سيدتها فاطمة عشرين عاماً لا تتكلم إلا القرآن !!.

قال صاحب البحار في الجزء العاشر ص ٢٦:

إنّ فضة حجّت مع أربعة من أولادها ، وانقطعت في الطريق عن القافلة ، فرآها رجل من عرب البادية ، وقبل أن يسلم قال لها : من أنت ؟

فتلت قوله تعالى : {قُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} الزخرف : ٨٩

[معلّمة إياه من الآية الكريمة أن يكون السلام قبل الكلام] .

فسلم الرجل ، وقال : ما تصنعين هنا ؟

فتلت : {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} الزمر : ٣٦

[مشيرة الى أنّها ضالة عن القافلة] .

فقال : أمن الجن أنت أم الانس ؟!

فتلت : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ} الاعراف : ٣١

[مخبرة إياه بأنّها من الانس] .

البكاء والجزع ، ألم يقتل عمك حمزة ، ألم يقتل جدك علي (عليه السلام) بالسيف ، إنّ القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة . فقال له الإمام (عليه السلام) : شكر الله سعيك يا أبا حمزة ولكن هل سمعت أذنك أم رأيت عينك أنّ امرأة لنا أسرت أم هتكت قبل يوم عاشوراء ؟!

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها الى مجلس ما بارح اللهو والخمرا
وقد أشارت إلى هذه الفاجعة الحوراء زينب بنت علي (عليها السلام) في خطبتها العظيمة في مجلس يزيد بن معاوية ، تلك الخطبة التي قلبت الواقع الفكري ضد الامويين والتي كشفت فيها للناس عن حقائق كانت خافية عنهم ، حتى تجرأ - بعدها - بعضهم على شتم يزيد بن معاوية في مجلسه .. فعندما دخلت الحوراء (ع) إلى ذلك المجلس المشؤوم كان يزيد يتمثل بأبيات من قال :

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
فقال - عليها السلام - :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله اجمعين ، صدق الله سبحانه حيث قال : {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءِ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} (٧٧) .

(٧٧) سورة الروم : الآية (١٠) .

أظننت يا يزيد ، حين أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء ،
فأصبحنا نساق ، كما تساق الأسارى ، أن بنا على الله هوانا ، وبك
عليه كرامة ، وأن ذلك لعظم خطرك عنده ؟! .. فشمخت بانفك ،
ونظرت في عطفك جذلان مسروراً .. حين رأيت الدنيا لك
مستوسقة ، والامور متسقة .

و حين صفا لك ملكننا وسلطاننا .. فمهلاً مهلاً .. أنسيت قوله تعالى ﴿وَلَا
يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ
لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٧٨).

أمن العدل يابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات
رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن
الاعداء من بلد الى بلد ، ويتشرفهن أهل المناهل والمعازل ، ويتصفح
وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن
حمي ، ولا من رجالهن ولي ؟! ..

وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء ، ونبت لحمه من
دماء الشهداء ؟! وكيف يستبسط في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا
بالشنف والشنآن والأحن والاضغان ؟! .. ثم تقول غير متألم ولا
مستعظم .

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وسألت أبأها ذات يوم

– أتحبنا يا أبتاه ؟

فأجاب عليّاً :

وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي .

فقال :

يا أبتاه الحبّ لله تعالى والشفقة لنا ^(٨٢) .

(٨٢) - المصدر السابق- :٢٢٣. نلاحظ هنا في هذه المحاوراة أنّ الإمام علي عليه السلام
كلم ابنته الحوراء بلسان يفهمه الاطفال فكلمته - عليها السلام - بلسان الكبار ممّا
يدل على راحة عقلها رغم أنّها ما زالت صغيرة .

(٧٨) سورة آل عمران: الآية (١٨٧) .

وصغارها وتطعم الطعام مسكيناً ویتيماً وأسيراً وتلبس الثياب الخَقة، وتكسو الفقراء جديد الثياب .

وقد انعكست صفات الزهراء في نفس ابنتها "زينب" وظهرت جليلة واضحة في زهدا وعبادتها وصبرها وجرأتها ، قال الرواة أنّ زينب بنت امير المؤمنين لم تدخر شيئاً من يومها لغدها .. وإنّها كانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن ، حتى ليلة العاشر من محرم ، وهي الليلة التي قتل الحسين في صبيحتها ، وليلة الحادي عشر حيث كان أخوها الحسين وأولاده واصحابه مجزرين كالاضاحي ، حتّى في هذه الحالة لم تدع صلاة الليل والتعبد والتهجد.. (٨١)

وللسيدة زينب في طفولتها مواقف تريح النفس وتبشّر بمستقل لها عظيم . فقد حدث أنّه كانت جالسة في حجر أبيها يلاطفها قائلاً:

قولي : واحد .

فقالت : واحد .

قولي : اثنين.. فسكتت ، فقال علي ابن ابي طالب :

تكلمي ياقرّة عيني .

فقالت الطاهرة :

يا أبتاه ما أطيق ان اقول اثنين بلسان أجريته بالواحد .

* * *

منحنيّاً على ثنانيا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة ، تنكثها بمخصرتك ؟! ..وكيف لا تقول ذلك؟.. وقد نكأت القرحة واستئصلت الشأفة بأراقتك دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله) ونجوم الارض من آل عبد المطلب ... (الى آخر تلك الخطبة البليغة).

ويذكر المؤرخون أنّ من شدة المصاب بهتك ستور تلك النساء الطاهرات الزاكيات جعل النساء يتصايحن حين مروا بهنّ على جسد الحسين (عليه السلام) في موكب السبي، حيث صاح النساء وصاحت زينب (ع) : يا محمداه صلّي عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مُقتلة تسفى عليها الصبا (٧٩) .

وإنّ الانسان ليعرف شدة المصاب اذا عرف مدى غيره أهل البيت - عليهم السلام - على نسائهم ، ومدى التزام هذه النساء الطاهرات بتعاليم الإسلام العظيمة .

يروى المؤرخون أنّ زينب عليها السلام كانت إذا أرادت زيارة قبر جدّها رسول الله (ص) خرج علي (عليه السلام) أمامها ، والحسن (عليه السلام) عن يمينها ، والحسين (عليه السلام) عن شمالها ، وأبو الفضل العباس (عليه السلام) من خلفها ، وكان أبوها أمير المؤمنين (عليه السلام) يأخذها بالليل ، وعندما تصل يُطفئ السراج حتى لا يرى لها شخص ولا خيال !!.

(٧٩)- انظر الحسين وبطلة كربلاء - للشيخ محمد جواد مغنية - : ٢٤٩ .

(٨١)- انظر: الحسين وبطلة كربلاء : ١٧٣ .

ويروى عن يحيى المازني أنه قال : لقد جاورت علي بن أبي طالب في المدينة عشرين عاماً فلم أسمع لابنته زينب صوتاً ولم أرَ لها شخصاً!!...

نعم.. هكذا هم أهل البيت - عليهم السلام - في المحافظة على الناموس والعرض، وهكذا نساءهم في الإلتزام بتعاليم الشريعة المقدسة .

والآن تعالوا معي لننظر بشكل أوسع الى واقع هذه الصفوة الصافية عسى أن يوفقنا الله للاقتداء بها^(٨٠) . وأذكر في كتابي "حرمة الغناء عند السنة والشيعة" في مقال تحت عنوان (مشكلتان) ذكرت فيه أن أبرز مشكلتين تعصفان بالواقع الاسلامي اليوم هما :

١- غياب المنهج القرآني .

٢- التقليد الأعمى للغرب .

فجاءني بعد فترة أحد الأخوان وهو يقول إنَّ احدى نساءنا قد قرأت الكتاب ورأت في المنام من يقول لها إنَّ مشاكل المجتمع الاسلامي ثلاث مشاكل لا مشكلتان والمشكلة الثالثة هي الابتعاد عن أهل البيت - عليهم السلام - !! وأقول كفى بحديث الثقلين دليلاً وحجة .

(٨٠)- قال رسول الله (ص): (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)، أخرجه الترمذي في السنن ٥ : ٦٦٢ ، والحاكم في المستدرک ٣ : ١٠٩ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢ : ١٩٤ ، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٥٥ ..

قبسات من نور "الحوراء"

بمناسبة حديثنا عن فخر المخدرات (الحوراء زينب^(٤)) لا بأس بالتطرق الى جوانب من حياتها الشريفة ، وما عاشته من أجواء تربوية عظيمة كانت السبب في صقل شخصيتها وبلورة إمكانياتها^(٤) فنقول :

ولدت الحوراء زينب في بيت لا شئ فيه من الدنيا وزخرفها ، وفيه من التقى والصلاح كل شئ فرأت النور في هذا البيت الطاهر الذي ضمَّ أباهما سيد الوصيين وأمها سيدة نساء العالمين ، وأخوها ريحانتي رسول ربِّ العالمين وقد استقبل هذا البيت أبناءه الثلاثة الحسن سنة ٣هـ والحسين ٤هـ وزينب ٥هـ . وكان النبي (ص) لا يصبر عن بيته هذا ، ولا يشغله عنه شاغل ، بخاصة بعد أن نبتت فيه رياحيته .. فإذا دخله قبل هذا وشمَّ ذاك ، وابتمسم لتلك .

بقيت زينب مع أمها (الزهراء) ستة سنوات ، ويقول علماء النفس التربوي : أنَّ الطفل بعد أن يتم الثالثة تبدأ مراحل التوافق بينه وبين بيئته ، والتميز بين الألفاظ والمعاني ، وأنَّ نموه العقلي في هذه السن يتجه بصاحبه إلى كشف ما يحيط به مما يرى ويسمع ، وأنَّ هذا الكشف يترك آثاراً تعمل عملها في نفس الطفل إلى آخر يوم من حياته .. وكانت زينب ترى - في هذه المرحلة - أمها فاطمة بنت محمد (ص) تقوم للصلاة حتى تتورم قدمها ، وتبيت على الطوى هي

وفي جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لأول مرة أن يعرف مؤسسها ودعاتها ، لأنّ روح الاخوة لا يدع مجالاً لأي تمييز بين الواحد والآخر من روادها ، ولكن القدامى منهم يعلمون أنّ الاخوين الدمشقيين محمد وعدنان ، هما نقطة الانطلاق والارتكاز في هذا المجتمع ، وقلما تمضي عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا في نهارهما وكان قد شقاً ل نفسيهما طريقاً آخر الى عمل مثمر ، ينسجم مع اخلاقيهما التي لم تألف الانحراف عن سبيل الحق ، وهكذا انتهيا الى الاتفاق على مخطط مدرّوس ، ذي شعبتين : اولاهما ذاتية تتركز في تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل سواء في حقل الدراسة ، أو التهذيب الروحي ، حتى يحصناهما من تلك المفاصل التي تكتسح الكثرة من مواطنيهم في مختلف اقطار اوربا ، وأما ثانيهما ، فموضوعية وبالأصح انسانية تستهدف تنظيم الطاقات الإسلامية في نفوس الشباب المؤمن ، ليس فقط في بروكسل ، بل في أي مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به في بلجيكا وخارجها .

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما في نفسيهما والأقربين من رفاقهما ، ثم قضوا خطواتهم الاولى في سبيل انشاء المركز الاسلامي الذي يحلمون به ، وكان ذلك حين احرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على اعطائهم البناء الخاص بالحكومة التركية في معرض (بروكسل) ، وهو البناء الذي انشئ على صورة المسجد بقبته ومنارته ، ثم اصبح فارغاً معطلاً بعد انفضاض العرض ، وهامهم اولاء يعدّون عدتهم منذ

وكانت جميلة ففعلت واجتمع أهل مكة للنظر اليها فطافت عارية ويدها على فرجها وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

نقول ، هذه القصة مشهورة معروفة قد ذكرها المؤرخون في كتبهم . وما يهمنا ذكره بالإضافة الى ذلك أنّ النساء " الجاهليات " كنّ يخرجن الى الشوارع وصدورهن مكشوفة كما ذكر المفسرون فجاء النهي عن هذه التصرفات المبذلة ، وتوجه الخطاب التشريعي أولاً بهذا النهي الى نساء النبي (ص) باعتبارهن أرفع طبقة للنساء في المجتمع وباعتبارهن امهات المؤمنين ومن خلالهن الى نساء الأمة جميعاً فقال عزّ من قائل: {وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} (٨٦).

واليوم بأسم " التمدن " و " الحضارة " تسعى البشرية الى نشر دعوة التبرج فكأنها بأسم " التمدن " تريد أن تتقهقر ، وتعود الى عصر " الجاهلية الاولى " ووصف تلك الجاهلية بـ " الاولى " فكأنه اشعار بأنّ تلك الجاهلية القديمة تحمل رقم (١) وما نحن فيه الآن بفعل نشر دعوات التبرج يكون زماننا زمان " الجاهلية رقم (٢) " !!

لهم مثلاً: تعرّوا وتقرّبوا بهذا العري الى الله !! .. ولكن الغريب ان ينصت الانسان لهذه النصيحة الشيطانية ويأخذ بها !!!
(٨٦) سورة الاحزاب : الآية (٣٣) .

استجاب للشيطان في حضرة النبي (ص)

جاء في كتاب " درة الناصحين " : أن الله تعالى أمر إبليس أن يأتي النبي محمد (ص) ويجيبه عن كل ما يسأله عليه ، فجاءه على صورة شيخ يرتدي " العقال " والملابس العربية ، وقد لف حول بطنه خيوطاً صفراء ، وحمراء ، وخضراء ، فطرق الباب وكان النبي (ص) جالساً مع أصحابه ، فقال عليه الصلاة والسلام : افتحوا الباب أنه عدوكم لعنه الله ففتح الأصحاب الباب ، فقال له النبي (ص) : ما جاء بك يا عدو الله ، قال : إن الله أمرني أن أتيك وأجيبك عن كل ما تسألني . فقال النبي (ص) : يا إبليس كم اعداؤك من أمتي ؟!

قال : خمسة عشر .

الأول : أنت يا محمد ، والثاني : إمام عادل ، والثالث : غني متواضع ، والرابع : تاجر صادق ، والخامس : عالم مصل يتخشع ، والسادس : مؤمن ناصح ، والسابع : مؤمن رحيم ، والثامن : تائب ثابت على توبته ، والتاسع : متورع عن الحرام ، والعاشر : مؤمن يداوم الطهارة ، والحادي عشر : مؤمن كثير الصدقة ، والثاني عشر : مؤمن حسن الخلق ، والثالث عشر : مؤمن ينفع الناس ، والرابع عشر : حامل القرآن يديم قراءته ، والخامس عشر : قائم بالليل والناس نيام .

فقال النبي (ص) لإبليس : كم رفاؤك من امتي ؟!

قال عشرة :

ألفه مصري اسمه (عبد الله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن) ، لينال به إجازته الدكتوراه من باريس .

* * *

كانت شقة محمد وأخيه عدنان أشبه بمكتبة الجامعة ، يرتادها العديد من طلاب العرب في مختلف أوقات النهار ، وقد تطوّر أمرها أخيراً ، حتى أصبح روّادها الأفريقي الأسود والهندي الأحمر والاسباني الأبيض .

وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذكرات الجامعية ، بل تجاوزها إلى الدراسات الإسلامية ، والعبادات وإقامة الفرائض ، وطبيعي أن هؤلاء الروّاد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها ، بل تعددت مستوياتهم كما تعددت جنسياتهم . ففيهم الطالب والعامل والتاجر والفقير والثري يفدون إلى الدار من أنحاء العاصمة ، ليتعاونوا على فهم دينهم ، وتجديد عقيدتهم ، والبحث في شؤون شعوبهم ، وأوطانهم ، وقد رأوا أخيراً أن يخصصوا يوماً في الأسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة ، فحصى للقرآن ، وأخرى للحديث ، ومثلها للفقهاء ، ووقت خاص لبعض المؤلفات الإسلامية الحديثة وفترات خاصة للاستجمام وللعبادة ، وهكذا كان يوم الاثنين من كل اسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الاخوة ، يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الايام ، ويتهيئون له بالأفكار الجديدة والاسئلة العديدة .

- لأنني مسلم .

- مسلم ؟؟؟

وانزلت الكلمة في عفوية ممزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها ، كأنها أرادت أن تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته .

ولم تشأ أن تخرج الفتى بالالاحاح فوضعت الكأس في الصفحة الذهبية على النضد النصفى ، ثم أخذت مقعدها في مقعد مجاور ، وجعلت تنتظر اليه ، وهي تقول : الإسلام ! هذا شئ أذكر أنني قرأت عنه في بعض الكتب ، وقد أعجبني منه دعوته الى النظافة .

فقال محمد : إنّ النظافة في الإسلام من الصفات الأساسية ، ولكني أرجو مع ذلك أن يكون الكتاب الذي قرأت عنه من الكتب النظيفة ، التي لا تعتمد تشويه الحق .

فقلت : الحق انني لم اقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقي ، ولم أتعلم البحث عن مضمونه .

فقال محمد : فهل ترغبين في قراءة شئ عن الإسلام ؟.. لدي كتاب بالفرنسية ذو اسلوب أدبي معجب ، وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين الإلهي .

فقلت (بوليت) سأكون شاكراً اذا أعرتني هذا الكتاب ما دمت واثقاً من موضوعيته ، ولم يشأ أن يؤخر الأمر ، فأستأذن ليأتيتها به ، وما هي إلا دقيقتان حتى أقبل عليها ، وهو يقول : إنّهُ مقدمة لكتاب ضخم

الأول : سلطان جائر ، والثاني : غني متكبر ، والثالث : تاجر خائن ، والرابع : شارب خمر ، والخامس : القتات^(٨٧) ، والسادس : صاحب الرياء ، والسابع : آكل مال اليتيم ، والثامن : المتهاون في الصلاة ، والتاسع : مانع الزكاة ، والعاشر : من يطيل الأمل ، فهؤلاء اخواني وأصحابي . فقال له النبي (ص) : وهذه الخيوط - التي تلفها على بطنك - ما تريد بها ؟!

قال ابليس : إنني حين أعجز عن غواية الرجال أذهب الى النساء ، واعمل على غوايتهن ، واصورّ لهن بهذه الألوان الملابس التي يخرجن بها ، فيعملن بهذا ويفتنن بهن الرجال ، فيحصل الفساد وذلك مرادي . انتهى^(٨٨) .

وفي كل ذلك ليس للشيطان سلطان على النساء المتبرجات غير المحجبات إلا أن دعاهن فاستجبن له ، كما يحكي ابليس ذلك عن نفسه فيقول : { وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ }^(٨٩) .

(٨٧) القتات : النّمّ المزور ، الذي يبلغ الناس ما سمعه من بعضهم على بعض (مجمع البحرين ٣ : ٤٥٥) .

(٨٨) وهنا تنبغي الملاحظة بأنّ للشيطان القدرة على تشكيل الصور الماجنة والخليعة في ذهن الانسان كما له القدرة على الوسوسة اليه ، فهو يجري من الانسان مجرى الدم في بدنه .

(٨٩) سورة ابراهيم : الآية (٢٢) .

وقد حذر الله تعالى من إتباع الشيطان بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٩٠).

أما النساء المحجبات الملتزمات فإنه لا يوجد للشيطان سلطان عليهن ، لأنه لا يحصل منهن على استجابة ولا يجد منفذاً إلى تلك النفوس المؤمنة والملتزمة بخط الإسلام قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ﴾ صدق الله العلي العظيم^(٩١).

غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط اجتذاب الأبصار وإثارة الفضول دون أي شئ آخر.!

وحدث ذات يوم أن محمداً ، وهو أكبر الطالبين ، وقد عاد من إجازته الصيفية ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه في الكيمياء الصيدلية ، وكدابهما في مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه ببعض الهدايا الشرقية ، فملاً لصاحبي البناء طبقاً من الحلوى ، ثم مضى بمثله إلى الجارة المجهولة ، هذه الفرنسية (بوليت كيو) ولما أطلت الجارة بما لم تتوقع ، وجمدت قليلاً قبل أن ترد تحيته ، ثم سألت في لهجة لم تخل من الاستغراب :

ماذا ؟

ومد محمد بالطبق الشهي ، وهو يقول : إنها هدية صغيرة من حلويات دمشق ، قدّمت مثلها الى جيراننا الآخرين ، فهل تتكرمين بقبولها ، تناولت (بوليت) الهدية شاكراً ، ودعته إلى الدخول ، وألحّت بذلك فلم يسعه إلا الاستجابة ، واتخذ مجلسه في الغرفة ، ودخلت (بوليت) بالهدية إلى غرفة الطعام ، ثم عادت ومعها صفحة فضية يعلوها قدح مذهب ، وانحنى وهي تقدّمه إليه ، ولكن محمداً وضع يده على صدره وهو يتعذر : سأكون شاكراً اذا اعفيتني .

- ولكنها خمرة جيدة ، ومن أحسن انواع الكونياك .
- لا أشك في حسن ذوقك ، ولكن لا أشرب الخمر .
- لماذا ؟؟ م .

(٩٠) سورة النور : الآية (٢١) .

(٩١) سورة النحل : الآيتان (٩٩ - ١٠٠) .

" بوليت " الفرنسية

تصير مسلمة .. وترتدي الحجاب..

وتتحدى كل الصعاب

قال الاستاذ أحمد أمين في كتابه الرائع " التكامل في الاسلام ": انقل هنا باختصار من مجلة (الحضارة الاسلامية) إسلام امرأة فرنسية من مواليد بلجيكا اسمها "بوليت كيو" ، كانت تسكن في شقة بناء في حي فخم بجوار بحيرتي (أكسل) على مقربة من جامعة بروكسل عاصمة بلجيكا ، وكان نزىلا الدور الثاني من هذا البناء (محمد وعدنان) من الطلاب السوريين .

وكان مألوفاً أن يتلاقا محمد وعدنان وهذه الجارة الفرنسية (بوليت كيو) معظم الأيام على مدخل الدار السفلي ، أو اثناء الدرج ، فلا يكون بينهم أكثر من تحية طائفة تفرضها المجاملة دون أن تجر وراءها كلمة واحدة .

وإن هذه الامرأة الفرنسية (بوليت كيو) كانت تعتني عناية صارخة بزینتها اليومية الى حد الإفراط ، فكانت أنموذجاً من الاستهتار الذي لا يقيم وزناً لأيّ مقياس أو تقدير ، ومع ذلك فهي تمر بالطالبيين السوريين وزائريهما كما تمر بالآخرين من الناس في الشارع والترام والسيارة والشركة التي كانت تعمل فيها سكرتيرة لمديرها . إنها ما كانت تثبت نظرها في أي وجه ، إلا بمقدار ما يتطلب الموقف ، فكان

مواقف مع الحجاب

لقاء بين صديقين بعد عشر سنوات !!..

(أحمد) و (علاء) صديقان درسا في المرحلة الثانوية في صف واحد ، وكانا يجلسان معاً على رحلة واحدة.. بعد تخرجهما من الإعدادية افترقا مدة استغرقت عشر سنوات ، فقد ذهب (علاء) للدراسة في الخارج ، وبقي (أحمد) يدرس داخل البلاد .. وشاءت الصدفة أن يلتقي الصديقان القديمان بعد هذه السنوات العشر من عمريهما ، وكان بجانب كل منهما امرأة حسناء .. فقد كانت الى جانب (أحمد) شابة جميلة ترتدي الحجاب الإسلامي وعلى سيماها علامات البهاء والوقار .. وكانت إلى جانب (علاء) شابة متبرجة أغرقت نفسها في (مستقع) الزينة المثيرة والثياب الفاضحة .

صافح (علاء) (أحمد) ، ثم قدّم له الفتاة التي بجانبه قائلاً:

- سهاد زوجتي .

ومدت (سهاد) يدها لتصافح (أحمد) .. إلا أنّ (أحمد) اعتذر عن مصافحتها ، وقال بكل أدب ولباقة: إنه كما تعلمين لا يجوز مصافحة النساء الاجنبيات .. فإنّ ذلك حرّم على الطرفين .

ثم التفت (أحمد) الى صديقه (علاء) وقدّم له زوجته قائلاً :

- السيدة ابتهاج الخطيب زوجتي .

ولم يمد (علاء) يده ليصافح السيدة (ابتهاج الخطيب) لأنه أدرك أنّ حرمة المصافحة للأجانب التي ذكرها (أحمد) شاملة للرجال والنساء

على السواء واكتفى بالتحية من مكانه ، إلا أنه قال لأحمد :- صديقي العزيز لماذا أراك تحبس زوجتك في هذه الملابس .. وكيف ترضى هي بهذا الأمر؟! .
قال أحمد :

- صديقي العزيز أني أقدر سبب قولك هذا ، وأدرك جيداً أبعاد الفكرة التي نتحدث عنها .. إلا أنني أقول لك على سبيل الإجمال شيئاً واحداً عن عظمة الحجاب .. خذ مثلاً أن الاستمتاع بزوجتي هو ملك لي وحدي ، أما الاستمتاع بزوجتك أنت فهو ليس ملك لك وحدك ، بل أن لك حصة من مجموع حصص يتمتع بها الآخرون !.

قال علاء : وكيف ذلك ؟!

قال أحمد :

- أني مثلاً أتمتع بجمال شعر زوجتي وحدي .. وأتمتع بمحاسن جسمها وحدي ، ولا يقدر أي شخص أجنبي على التمتع بجمالها أو بمحاسن جسمها غيري ما دامت هي محجبة ملتزمة .. أما زوجتك أنت ، فإن الناظر إلى شعرها فقد أخذ حصته من التمتع بها .. والناظر إلى ذراعيها فقد أخذ حصته من التمتع بها .. والناظر إلى ساقها فقد أخذ حصته من التمتع بها ، وكذلك الناظر إلى كل جزء قامت بكشفه للناس .. فإنهم آخذون بحصتهم من التمتع بها ، وأنت لك حصة من بين هذه الحصص ..!!

الجاهل .. فقد قيض الله لـ "رؤى" في تلك اللحظات من ينصرها ، بل ينصر الإسلام وأهله فقام ذلك الطالب "الإلهي" الذي ملأ الايمان قلبه وقال معترضاً على "المعيدة" :

كيف تقولين هذا الكلام ، و"الحجاب" تكليف شرعي على المرأة شرعه الله في كتابه الكريم وبلغه النبي محمد(ص) إلى العباد.. هل تعرفين مدى الجناية التي ارتكبتها أمام الله في حق نفسك حين قلت هذا الكلمات؟! .

وكان "طالبنا" شاعراً ، ولأن كلام المعيدة مسّ شغاف قلبه ، وأثار غيرته على "إسلامه" و "دينه" ارتقى ذلك الطالب كرسیه وسط الصف وارتجل عشرة أبيات مبلّغاً بها رسالة الإسلام وصوته الى كل "الجاهليين" ^(٩٤) .. وقد أتم بعد ذلك هذه الابيات العشرة - حين عودته للمنزل - إلى مائة بيت ، ثم نشرها بين الطلاب ، حيث ظلت تردد أصداءها بعده أجواء "كلية التربية" إلى وقت طويل ..!!

(٩٤) - تجدر الإشارة هنا الى أن كل رأي أو فكر أو حكم يقف أمام حكم الاسلام يعد حكماً جاهلياً وإن اتخذ عناوين وألفاظاً حديثة له ، وهذا المعنى تجده في قوله تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يُوقِنُونَ} المائدة- ٥٠ ، الذي قسّم الاحكام إلى قسمين فقط : حكم الله ، وحكم الجاهلية .. فما لم يكن الحكم حكماً لله فهو من أحكام الجاهلية لا محالة .

بلغت التكليف-أي بلوغ تسع سنين وهو بدء التكليف الشرعي للمرأة من أداء للصلاة والصوم وباقي الواجبات-، فقد قال رسول الله (ص): إنَّ الرجل الاجنبي إذا صافح امرأة اجنبية فقد باءا بسخط من الله !!..

وكانت تحذّر زميلاتنا كثيراً في "كلية التربية" من مغبة انفراد الرجل بالمرأة ، لأنه ما أن يختلي رجل أجنبي - من غير المحارم - بأمرأة اجنبية إلا وكان الشيطان ثالثهما ، وبئسه من ثالث إذا حضر !!.. وفي إحدى الايام طلبت إحدى المعيدات التي كانت تلقي الدرس .. طلبت من "رؤى" أن تقوم لحل مسألة ما على "السبورة" . فقامت "رؤى" وبقيامها أخذت تلف عبايتها جيداً - وقد كان حجابها العباءة ، وهو أفضل الحجاب كما قلنا - لغرض الذهاب بكل وقار إلى جهة السبورة ، فنظرت إليها تلك المعيدة ، التي حملت نجاسات الجاهلية الثانية من " التبرج" و "الزينة" المثيرة وأرادت أن تلقي بها على " رؤى " "الإسلام" و "الوقار" ، فقالت لها أمام الطلاب جميعاً : لماذا هذا التقيد بالحجاب ألا ترين أنه يعيقك عن الحركة (!!) يجب أن نترك هذه الاشياء المتخلّفة (!!) ؟..

وكظمت "رؤى" غيظها ، ولأنّها "المؤدّبة" لم تتبس ببنت شفة أمام "المعيدة" ولانذت بالصمت الذي ينبئ عن حكمة بأن ابلغ جواب "للسفيه" إذا تكلم هو السكوت عنه !!.. وكما قال الإمام علي (عليه السلام) : أنّ أول عوض الحليم من حلمه بأن يكون الناس أنصاره على

فهل عرفت الفرق في ذلك يا صديقي ..(الغيور)!!؟. (٩٢).
فقالت (سهاد) زوجة علاء مخاطبة أحمد - وهي كما يبدو لها أذن واعية لما تسمع - :
- إنّ كلامك لمنطقي جداً !
فالتفت اليها (أحمد) معجباً بصراحتها ، قائلاً :
- وإني أرى أنّ لك روحاً خصبة جداً .. وأسأل الله أن تكون روحك مهياًة تماماً لغرس كل ما يدعو الى الفضيلة ، وترك كل ما يدعو الى التحلل والرذيلة !!..
ثم افترق الصديقان على أمل أن يجمعهما الله ثانية وهما في طاعة الله لا في سخطه!!..

* * *

(٩٢) - وردت أحاديث كثيرة تشير إلى أهمية وجود الغيرة عند الرجل على عرضه ، ووصفت بعض الأحاديث الرجل الذي لا غيرة عنده بأنه " ديوث " ، وأيضاً جاء عن النبي (ص) قوله : (غيرة الرجل على أهله ايمان) .

لمن قرني الغزال للإبنة ام للأب !!؟

كان لرجل أسمه (أسعد) صديق من أيام الصبا ، التقى به مرة في طريق عام وبصحبه فتاة شابة لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها ، يتطاير الشعر الذهبي عن كتفيها شبه العاريين كلما هب عليه الهواء .. كما كان هذا الهواء يرفع عن ثوبها شيئاً ليُظهر من رجليها ما وجب ستره في الإسلام!!!

قال ذلك الصديق بعد أن سلّم على (أسعد) : أقدم لك ابنتي العزيزة (منال)!!

نظر (أسعد) إلى (منال) وما هي عليه من التبرج والإثارة . ثم قال لصديقه : أتعلم يا صديقي أنّ ابنتك (العزيزة) هذه جميلة !، فإنّ لها قواماً كالغصن في رونقه ، ولها وجه جميل كالبدر في طلعتة ، ولها حاجب على العينين كاللّلال في تقوسه .. واستمر (أسعد) في مدحه للفتاة الى أن قال : إنّ ابنتك هذه - يا صديقي - بكل اختصار هي كالغزال إلّا أنّ القرنين لك لا لها !!.. ثم ذهب وتركه وبقي (الأب) متحيراً في كلام صديقه (أسعد) .. إذ كيف يكون له قرني غزال وهو يرى نفسه إنساناً له هيئة البشر ويمشي على رجلين !!.. نقول : ولعل هذا (الأب) لم يسمع بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ

بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}. صدق الله العلي العظيم^(٩٣).

* * *

صوت الحق يهدير في " كلية التربية " !!..

إنّ للتربية في محيط العائلة ، الأثر الكبير في صقل شخصية الإنسان ، وخاصة اذا توفر لهذا الانسان أبوان مؤمنان يحملان قدراً لا بأس به من الثقافة الدينية تؤهلها على تنشئة " ابنهما " او " ابنتهما " تنشئة اسلامية صحيحة ، فإنّه حينئذ تكون تعاليم الاسلام العزيز قد نقشت في قلوب الأبناء نقشاً لا يمكن زواله ، ولا يمكن لأي قوة أو تيار " جاهلي " في الأرض أن تضع " نجاساتها " في هكذا قلوب طاهرة نشأت على حب الله ، وحب الامتثال لأوامره .

و"رؤى" هي من تلك الفتيات المحظوظات بوجود أبوين مؤمنين ، ووجود أخوة متقفين لهم ثقافة إسلامية عالية ، فنشأت تلك النشأة الطاهرة التي جعلتها تتحصن تحصيناً كاملاً أمام التيارات "الجاهلية" التي يزخر بها عصرنا الحاضر ، تقول لزميلاتها : إني لبست الحجاب الاسلامي في السنة السابعة من عمري - أي قبل سني تكليفها الشرعي بسنتين - ولم أصفح رجلاً اجنبياً عني - أي من غير المحارم الذي مر ذكرهم في سورة (النور) آية (٣١) - منذ

(٩٣) سورة الاعراف : الآية (١٧٩) .

خاصاً لاجتماعات نسوية اسبوعية تضم المسلمات وغير المسلمات ، من المثقفات الاوربيات اللواتي نأنس فيهنّ رغبة في الحق ، وقدرة على فهمه .

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساءً ، فتذكّر الأخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيكي والهولنديين ، فاستأذنا بالخروج لاستقبالهم ، بعد أن اتفقا مع (هدى) على جميع النقاط التي طرحتها ، ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب^(١٠٠)..

* * *

اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذي بات موعده وشيكاً ، ثم لجعلوه فيما بعد مسرح نشاطاتهم التي لم يعد بمتسع لها البيت . وقد اصبح لديهم مكتبة متقلّة تحتوي على طائفة من أنفس الكتب الإسلامية بالعربية وغيرها ، وتقدم بطريق العارية^(٩٥) . للرجل والنساء على السواء .

ولقيت حركتهم عطفاً مشجّعاً لدى بعض السفارات الإسلامية ، وبخاصة سفارة "السنغال" التي يقوم على رأسها رجل يهيمه أمر الإسلام وانتشاره في أصقاع الارض ويحيط به قلة من الموظفين لا يقلّون عنه حبّاً للإسلام واهتماماً بشؤون المسلمين ، ولم تعد حركتهم محصورة في حدود المسلمين وحدهم ، بل بدأت الاتصالات بعناصر مثقفة من البلجيكين والاوربيين انفسهم ، وهماو ذا عدد منهم نساءً ورجالاً يحضرون اجتماعاتهم الاسبوعية ليستمعوا الى معاني القرآن الكريم والحديث ، وليشاركوا في مناقشة الأفكار المختلفة التي تُقرأ في بعض هذه الاجتماعات عن الإسلام والمسلمين .

علم محمد أنّ المرأة الفرنسية تريد أن تترك شقتها الكبيرة في هذا البناء إلى شقة صغيرة في بناية اخرى ، فاقترح على صاحبة البناء أن يقدم شقته التي كان يسكن فيها وأخوه عدنان الى المرأة الفرنسية وهما ينتقلان إلى الشقة الكبيرة ، فحصلت الموافقة .

(٩٥) - العارية : الانتفاع بعين الاشياء مجاناً مع بقاء العين ثم اعادتها ثانية للجهة التي أخذت منها .

(١٠٠) التكامل في الإسلام ٥ : ١٣٨ - ١٥٤ عن مجلة (الحضارة الإسلامية) .

وعاد الاخوة مساءً ليجدا كل شئ على ما يرام ، بل فوق المرام ، لقد بدلت الدار بالدار ، ورتبت اشياؤها من كتب وثياب وحقائب وما الى ذلك مما يملك المسافر في أمكنتها المناسبة في المنزل الجديد ، وكانت الدار بأثاثها الأصلي الفاخر غاية في الإناقة التي يحلم بها طالب في منزل اجرة (بنسيون) ، فاستشعروا روح الهناءة ، ووفقا هنيئة يخططان للاجتماعات المقبلة ، ولم ينسيا أن يخصصا قاعة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك في أوقاته الاسبوعية ، وشدهم منظر بياض الشرشف مغسولاً مطوياً ، وثيابهم منظفة مكوية ، وقد نسقت على مشاجبها في الخزائن ! فقدروا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين ، وفي الآونة فوجئاً بالجرس يدق ، ولما فُتح الباب اطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما وتساءلهما إذا كانت ثمة خدمة أخرى تستطيع تقديمها لهما ..

واستجابت المرأة لدعوتهما ، فجلست لترشف قدح الشاي الذي صب لها ، وقالت رداً على الثناء الذي وجهه اليها : لم أفعل شيئاً كبيراً ، لقد وجدت نفسي في فراغ الأحد ، وكان لا بدّ من نقل أمتعتي إلى داركما الأولى كما اتفقنا ، فبدلاً من أن أعود فارغة إلى فوق ، في كل مرة كنت احمل بعض امتعتكما بطريقي ، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء ، ثم وجدت لدي بعض الفراغ فسليت نفسي بانجاز بعض الاشياء التي قد يضيق وقتكما عن انجازها في الوقت المناسب .

لا يجد راحة لقلبه في غير البكاء ، وهذا كما يبدو نتيجة رفاهة بالغة في العواطف ولدتها الأشواق الروحية والتأمل المستديم في معاني القرآن الحكيم^(٩٩)... وهنا رفعت هدى صوتها الى محدثها وقد شاع في وجهها بشر خفي ، ثم قالت وفي صوتها رنة السعادة " لكم يسرني أن يكون استنتاجك مصيباً أيها الأخ .. الحق أنني أحسّ في قلبي رقة لم أعهد لها قبل إسلامي .. وكثيراً ما يطغي عليّ هذا الشعور حتى أغيب في فيضه عن كل شئ .. إلا تلك الاشارات السماوية التي أكتشفها كل يوم في الآيات القرآنية ، أو الاحاديث النبوية .. " .

وتوقفت قليلاً ، كأنما اعترضها خاطر مفاجئ .. ثم قالت : لقد عرّضتُ علىّ اختي بنت سفير السنغال أن اترك الشركة الى سفارتهم ، فإني سأجد الجو الإسلامي الذي يريحني من مضايقات المخالفين ، فترددت أولاً ، ثم رأيت ان أقبل هذا العرض وإن كان دخله دون مرتبي الاول ، لأنه سيوفر لي من الراحة النفسية ، ما أنا في ميسر الحاجة اليه . وفي هذه المناسبة أقول لكما أنني قررت الاكتفاء بالضروري من دخلي ، لأجعل ما يزيد من حاجتي في خدمة الدعوة ، ولمساعدة الفقراء من لاجئي الألبان المسلمين . وسوف أفتح منزلي لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم الى تركهم للعمل أثناء النهار ، وعندني اقتراح آخر هو أن نتخذ من هذا المنزل مركزاً

(٩٩) - قال تعالى : { وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } مريم - ٥٨ .

الاستقبال كان أثر الدمع لا يزال بارزاً من تحت نظارتها السوداوين .. ورحبت بهم بصوت لم تستطع اخلاؤه من أثر البكاء..
وتكلم محمد في كثير من التحفظ ؛ لقد كثرت أحزانك في هذه الايام ..
ولا بد لأنها نتيجة وضعك الجديد .. ولما يواجهك بسببه من مزعجات ، وكان الأولى أن تقابلي ذلك بالصبر الذي وراءه الأجر .
وكأنها أحست بتلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد ، فلم تستطع منع عينيها من الدمع .. ترددت ملياً تغالب نفسها ، وتسترد انفاسها ، حتى استطاعت أن تستأنف : " .. حقاً أنها لأحداث مزعجة تلك التي أصادفها في كل مكان ... ولكنها لا تزيدني إلا شعوراً بالرضا واشفاقاً على هؤلاء المساكين الذين لا يعلمون ما يعملون .. ولعل كثيراً من دموعي وأحزاني لا تعدوا أن تكون تعبيراً عن الغبطة الروحية التي تستغرقني ، عندما أشعر بأنني أتحمل بعض ، التضحية في سبيل الله .. غير أن أخوف ما يخيفني هو أن يكون البعض الآخر من هذه الدموع والاحزان نتيجة لضعف خفي في قوتي الروحية !..
وتهدج^(٩٨) صوتها ، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام .. فأمسكت لتمسح دموعها وتهدي أعصابها .

ورأى محمد أن يساعدها على هواجسها ، فقال : إن مثل هذه الظاهرة تبدو جليلة في جميع الذين هدوا إلى الإسلام من اخوتنا الأوربيين ، وهذا اسماعيل الذي كان اسمه روجيه ، كثيراً ما تهيج مشاعره حتى

(٩٨) - تهدج الصوت : تقطع في ارتعاش .

قال عدنان : ولكن هذا كثير ، أيتها الجارة المحترمة .
وقال محمد : لقد وضعنا بذلك تحت عبء من الفضل نعجز عن مكافأته . وهنا اثبتت قليلاً نظرها في وجه الفتى الذي صبغه الحياء ، وبرق ببوارد الشعور بالجميل .. ثم قالت : "بل لعل الأمر على العكس ، ولو علمت ما حدثت عاريتك في نفسي لأدركت أنك أنت المتفضل ."
وفجأة وثب إلى خيال محمد صورة تلك الليلة التي طواها وراء ستة اشهر ، وتذكر الكتاب الذي أعارها إياه .. فقال : أرجو أن يكون وقتك قد اتسع لقراءة الكتاب ..
- لقد قرأته خمس مرات ..
- وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه .
- الملاحظات كثيرة .. ولكني لم اكتب واحدة منها خارج قلبي .. أجل .. لقد نقشت انطباعاتي بالكتاب هنا ، على صفحة قلبي التي لا تقبل المحو .
وسكتت ، وسكت الفتيان بما يسمعان ، وينظر كل منهما الى الآخر دون كلام .. حتى عادت المرأة تقول : كنت أحسب أن تجاربي الماضية كانت كافية لصرفي نهائياً عن أي تفكير ديني ، ولكن هذا الكتاب قد كشف لي بشكل مباغت أنني على أتم الجهل بجوهر الدين ، وأني لأول مرة أجد نفسي في مواجهة الحقائق الإلهية ، التي قضيتُ شطراً كبيراً من عمري في البحث عنها بغير طائل .

قال عدنان : ذلك حال طبيعي ، فالقلب الانساني كالقفل الدقيق ، لا يستجيب إلا الى مفتاحه وليست الحقائق الإلهية إلا ذلك المفتاح .
- تمثيل رائع ، واستطيع القول بنتيجة خبراتي الشخصية أن هذه الحقائق هي وحدها التي تروي عطش القلب الضائع في صحراء المجهول ، وكل تفكير ديني مجرد منها هو كالماء المالح لا يزيد النفس الضامئة إلا تلهباً واحترقاً .

وفي غير تعمد انسرب بصر محمد يجول في مظهر هذه المرأة ، كأنه يفتش عن الدليل الذي يؤكد أنها جادة في الذي تقوله ، فاذا هو يصطدم بالواقع ، الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق ..! أن الأحمر الذي يغرق شفقتها والركبتين تشدان النظر إلى ما وراءهما في إغراء وقح ، والضغط الصارخ الذي يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنع ، والذي لا يزال محتفظاً بالكثير من مغريات الفتوة ، كل أولئك من شأنه أن يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جاد ، وبخاصة في مقياسه هو الذي لا يستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها ولذلك لم يستطيع منع وجهه عن ابتسامة خفيفة لا يفوت الذكي ما وراءها ..!!

وعادت الفرنسية إلى الكلام : " لقد اطمأن قلبي إلى هذا الدين وأريد أن أسألكما عن السبيل إلى اعتناقه .. "

قال محمد : إن مجرد الاقتناع به هو اعتناقه . ويبقى إعلان ذلك بالشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله .

لا تحتل هذا اليوم بعض ذلك العذاب في سبيل تعريفه الى الناس في هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه ، واستمرت حياة هدى على هذا المنوال أياماً طويلة ... لقيت اثناها الأمرين من فضول الناس .. فلم تجتز شارعاً ولم تطأ حانوتاً ، ولم تركب حافلة ، ولم تدخل مركز الشركة إلا سمعت الهمس ورأت الغمز واللمز ، وقابلت ذلك كله بجلد هائل .. ولكنها ما تكاد تخلو الى نفسها في بيتها حتى تستسلم إلى بكاء طويل ونشيج محرق .. (٩٧).

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم الى دار الطلاب ، لتخبرهم أن جارتهم التي من حقها أن تكون سعيدة في عيد ميلادها اليوم ، قد أغلقت عليها بابها لتتخبط في بكاء حزين .

وهبطوا : عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها وبعد أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب ، فدخل الفتيان الى الردهة ليأخذا مكانهما بانتظارها .. ولما عادت نحوهما في رداء

(٩٧) - قال رسول الله (ص) : " اذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن ، فإن الله تعالى يحب كل قلب حزين ، وإذا ابغض الله عبداً نصب له في قلبه مزماراً من الضحك . وما يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن الى الضرع ، ولم يجتمع غبار في سبيل الله ودخان من جهنم في منخري مؤمن أبداً " . وقال رسول الله (ص) : " يا علي ، عليك بالبكاء من خشية الله ، يبني لك بكل قطرة ألف بيت في الجنة " .

وقال رسول الله (ص) : " البكاء من خشية الله يطفئ بحاراً من غضب الله وقد وبخ تعالى أناساً على ترك البكاء عند استماع القرآن فقال : { أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } النجم ٥٩ - ٦٠ . ومدح الذين يبكون عند استماعه وقال : (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين) . وقال بعض العرفاء : إذا أراد الله أن يتوب على عبد جعله يبكي على ذنوبه!..

وودت لو تطير بها السيارة لتخلص من هذا الجو ، وقد قررت أن تلوذ بغرفتها فلا تغادرها إلا في الضرورة القاهرة ، وأن تتجنب هذه الانظار ، فلا تخالط أصحابها إلا بعد أن يألّفوا منظرها الغريب .

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة ؛ إذ ما كادت تهبط من السيارة إلى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير يطل عليها من الباب الخاص ، ليقلب نظره طويلاً في هذا الزي الذي لمحه عن بعد ، والذي سمع المستخدمين يتهايمون بشأنه .! وانتبه المدير الى موقفه ، فلم يسعه إلا أن يتكلم : اسعدت صباحاً أيتها الانسة ، أرجو أن لا تجدي ما يزعجك طوال اليوم ..!

وأدركت ما يريد ، وتذكرت كلمة عدنان .. وتصميمها السابق .

فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف ، ثم قالت : ليثق حضرة المدير أن لا شئ يزعجني .. لأنني مطمئنة إلى أن مسلّكي هو الأفضل .. وكل استغراب له إنما يرجع إلى بُعد المستغربين عن فهم الحقائق الإلهية .

ولم يجب المدير بشئ .. وترك لشفتيه أن تنتمتا ببعض الكلمات الغامضة .. ثم انسحب الى مكتبه.

وانتضت (هدى) بتصميمها وتذكرت ايضاً أن الإسلام يستحق منها أكثر من هذه المزعجات ، أنه غريب في (بروكسل) كغربته من قبل في مكة . ولقد تلقى أتباعه الأولون ، بين اخوتهم الكافرين به ألوان العذاب في سبيله قبل أن يحتل مكانته الطبيعية في وطنه الأول ، فلم

- فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، ولأنني مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة ، وأما رسالة محمد ، فلا ينكرها إلا الكافر بعقله ، أو كاره للحق .. فهل انا أذن مسلمة الآن ؟!

- بالتأكيد .. ولكن هناك مشكلة .

- مشكلة .. ما هي ؟

- هي : أن الاسلام نظام كامل .. يوجد جملة لا تفارق .. وهو يفرض على معتنقه سلوكاً معيناً، ومظهراً خاصاً، وخلقاً مميزاً .. بحيث يمثل في شخصه المتميز، الخطوات العملية الكبرى لحقيقته الإلهية .

- ادركت هذا من سلوككم .. الذي أعطاني في الواقع كثيراً من التفسيرات التي لم يتسع لها الكتاب ، لقد سئمت الأديان التي تفصل بين السلوك الشخصي والمعبود. وتتساهل حتى في الفضائل الرئيسية، فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة، والملاهي العابثة، والمراقص المنكرة، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينها وبين الشباب الطائش، وكرهت من رجال هذه الأديان بوجه خاص وقوفهم في نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع، إذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة، فيكتفون من المتدين أن يظل على صلة بمعبدهم ولو لساعة في الاسبوع ثم لا عليه بعد ذلك أن ينطلق وراء غرائزه في سباق محموم لا يعترف بأي رقابة لعين الله . ولا أية مسؤولية تجاهه ، وذلك بخلاف الإسلام الذي تبين لي أنه من الشمول بحيث يعتبر الارض كلها معبداً ، وكل عمل

صالح ما دام المؤمن يأتيه وهو مستهدف رضوان ربه . ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للإسلام ، وهو لا شك سعيد بذلك لأنه لا يستشعر أي تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وداخله ، بل أنه ليشعر بدل ذلك بأنهم انسجام بينه وبين الحياة ، وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤد إلى شقائه ، لأنه تصادم مع مبادئ الحياة نفسها .

وأمسكت قليلاً تحديق في ما بين يديها دون تركيز على شيء بعينه ، وقد غرق البهو كله في صمت عميق ، وأطرق كل من الفتيين مثلها يسبحان في غمرة هذه المعاني ، التي فتحت أمام نفسيهما آفاقاً مائعة ، يخيل أنهما يتشرفانها لأول مرة .

وقطعت الصمت كرة أخرى لتقول : " من أجل ذلك استجابت نفسي كلها لهذا الإسلام ؛ إذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع أعماق الفطرة الانسانية .. وقد صممت على أن اخضع جميع تصرفاتي الى أحكامه.." .

ولم يشأ محمد أن يؤخر ملاحظاته أو يجمع بها فقال : " ولو قضت هذه الاحكام بتغيير نظام حياتك كله ؟!.." .

وفي تصميم قاطع أجابت : وما فائدتي من الاسلام إذا هو لم يغير طريقتي في الحياة ؟!.. وهل تظن أنني كنت راضية عن نفسي ونظام حياتي ..وعلى أي شيء مما حولي ..!

سنة ونيف خالياً من كل أثر للزينة والطلاء .. فلا أبيض ، ولا دهان ، ولا أحمر ، اللهم إلا حمرة الخجل الذي غشي وجهها جميعاً . وفي سيارة الشركة ، التي اعتادت أن تمر بها كل صباح ، تلقت أول صدمة ، وذلك حين انصبت عليها أحداق العمال والمستخدمين فاغري الأفواه من الدهشة . لا تكاد أعينهم تصدق أن هذه هي سكرتيرة المدير ! وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم بالأمس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم فراحوا يتغامزون ويتهايمسون وهم يسارقونها النظر ، وهي في هذه الغمرة من المفاجئات لم تلاحظ هدى أن احداً رد عليها تحيتها ، وكأنهم لم يسمعوها أو كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر ، حتى تراجع نفسها فلا تدري : أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك ..!

ولم تتمالك رعشة سرت في جسدها وهي تستقبل هذه المفاجئة ، ثم غلبها الضعف ، فإذا دمعان كبيرتان تتدحرجان على خديها^(٩٦) . فتسرع الى مسحها بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقلبيه ..!

(٩٦) - ما أعظم فضيلة الصبر ، فإنه تعالى يقول : { إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } الزمر - ١٠ ، وقال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } القصص - ٨٠ ، وقال علي عليه السلام : " في البلاء تحاز فضيلة الصبر " .

عملي بل سيزيدني رغبة فيه واتقاناً له ، لأنني بذلك أحقق أحد تعاليم ديني الجديد ..

ولم ير المدير في أمر سكرتيه أي أمر ذي بال ما دام إسلامها لن يحول دون إستمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه ... وقلب يديه وشفتيه وهو يقول لها : ذلك أمر يخصك ولا يهمني .

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمي الشركة ، تنقل اليهم النبأ في لهجة مثقلة بالجد . وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد ، لأنه مخالف لمألوفهم ، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها ، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير ، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج .

وجاء اليوم الثاني...و غادرت هدى الشقة الى عملها اليومي في زيها الإسلامي الجديد .. الذي أعدته لها اختها فاطمة الاندنوسية ثوب سابغ أبيض يمتد من أعلى النحر الى أسفل الساق . وقد اتسع حتى لا يمثل أي عضو تحته ، وخمار زبدي اللون ادير على الرأس وحول العنق بصورة لا أناقة فيها ولا سذاجة وفي القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لا يوحي بأي أغراء أو تبذل ... وقد تعمدت أن تكون نظاراتها من اللون الاسود حتى تستطيع حجب تأثرها من الاشياء المزعجة التي تتوقع أن تراها أثناء اليوم . وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذي تقابل به الناس لأول مرة منذ ثلاثين

ثق أيها الجار الكريم إنني كنت إنسانة ضائعة ، بل غريقة ، يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها ، ولم تكن تصرفاتي الشخصية جميعاً إلا محاولة للهروب من الواقع الحائر ، الذي تفرضه علي حضارة لا أؤمن بها ، لأنها حضارة عوراء ، لا ترى من الإنسان إلا جانبه الجسدي ، ولا تقيم وزناً لأي ظمأ داخلي خارج نطاق المادة ، لقد كان لقاءي بك ليلة الهدية أول صدمة شددتني إلى الاتجاه الآخر ، ثم جاء كتاب الدكتور (دراز) فدفعتني شوطاً بعيداً في هذا الطريق ، وكان لطريقة حياتكم في هذا الجوار الطيب أثرها العملي في صيرورتي إلى هذا التقرير المطمئن .. وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين اشعر بأنني عثرت على نفسي ووجدت حقيقتي ، ووضعت قدمي في الطريق السوي ، فكيف لا أخضع وجودي لحقائق الإسلام ، وهو الذي أنقذني من ذلك التمزق ، وهداني السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل !..

وعقب عدنان على ذلك قائلاً : ولكن عناءاً جديداً ينتظر القابض على هذا الدين .. لعل أهون منه القبض على الجمر .. إنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء . ويطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائياً من مثل هذه الثياب إلى أشكال أخرى تتم بها الحشمة ، دون تضيق ولا تقصير ولا خلاعة ، حتى الشعر ، لا يأذن بظهوره لأجنبي .. وهناك صلوات خمس في كل يوم وليلة لا مندوحة من أدائها .. ثم صيام شهر رمضان الذي نحن فيه هذه

الأيام . ثم كفّ النفس عن كل شهوة حرّمها الله والخمر والرقص المختلط ، والخلوّة بالاجنبي ، وأقل ما يجزّره هذا الاتجاه هو أن تصبّحي هزأة لدى الذي سيرون منك كل هذا التغيّير دون مسوغ مقنع في انظارهم .

وكف عن الكلام ليبري أثره على نفسها ، فإذا هي تقول : أمّا هذه الثياب فستتغير في أسرع وقت .. وفي الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح فيها أن أروي ظمأ قلبي إلى مناجاة الله وسأجد في الصيام دون ريب متعة رائعة ؛ إذ تعرّفني حاجة الإنسان الى نعم الله التي ألف أن لا يعيرها تفكيراً .. ولقد مجت نفسي تلك الشهوات التي لم تزدني إلاّ استشعاراً للفراغ الروحي الذي طالما عانيته .. أمّا هزء الناس فقد توقّعت ، ووطنت نفسي على احتمال كل شيء .

ولم يبق لدى الفتيتين ما يقولانه بأزاء هذا الاصرار الحاسم .. فاكتفيا بأن قدّما إليها الأوراق التي كتبت فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة .. وما لا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتدئ ثم قال محمد : سنكون جميعاً مسرورين باستقبالك أصيل كل اثنين ، إذا شئت أن تحضري معنا بعض الدراسات والعبادات .. وسترحب بك اخوات من السنغال والبانيا واندونيسيا وأنحاء أخرى من العالم ..

وقد اختارت (بوليت كيو) الفرنسية لنفسها اسماً جديداً (هدى) بعد اعتناقها دين الإسلام ودخلت في صباح اليوم التالي على مدير الشركة البلجيكي فقالت له : لدي خبر وأرى من واجبي اطلعك عليه لكي لا

يفاجئك ، وابتسم المدير لسكرتيرته في لطف ابوي وقال : اعرضي ما تريدين .

- ابتداءً من الغد سترون تغيّيراً ، بل انقلاباً في حياتي كلها ، وأول ما تلمحونه من ذلك ثيابي التي ستكون أدنى إلى أودية الرواهب ..

- لعلك راغبة في اللجوء الى الدين ؟!..

- كلا.. لا شيء من ذلك .. إنما أن اكون مسلمة .

- هو ذاك .

- والإسلام غير المسيحية المعروفة كلها .. وسأعرفك به عندما تريد ..

- ولكن الإسلام كما قرأت وكما اخبرنا بعض القسس يحقّر المرأة .. ويجعلها قعيدة بيتها لا تصلح لأي عمل !..

- ذلك من دسائس اعداء الإسلام الذي لا تعرفه مع الأسف إلاّ عن طريقهم ، أما الواقع فهو أنّ المرأة لم تسترد اعتبارها الانساني إلاّ في ظل الإسلام .. وقد لبثت أحقاباً لا تعدو منزلة الشياطين في حكم رجال الكنيسة حتى هبت الى أوربا نفحات الحضارة الإسلامية عن طريق الاندلس والحروب الصليبية ، فإذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم في المرأة ، ثم لا يزالون يعدّلونه حتى انتهوا الى الاعتراف ببعض حقوقها التي قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ... ومهما يكن فذلك بحث نرجئه إلى وقت مناسب ، ولكن هذا لن يؤثر في إخلاصي في

قال تعالى : {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} الزخرف ٦٩ - ٧١ .
وقال تعالى : {مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} سورة محمد (ص) - ١٥ .

وقال تعالى : {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} الدهر - ٢٢ .

* * *

المؤمنات في الدنيا يغلبن نساء أهل الجنة

اختلف المفسرون في قوله تعالى " فيهن خيرات حسان " الرحمن - ٧٠ .
فقل نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، وقيل خيرات في الصلاح والجمال حسان في المناظر والألوان ، وقيل أنهن من نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن أجل من الحور العين، ورووا أن نساء أهل الجنة - الحوريات - يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها : نحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، ونحن خيرات حسان لأزواج كرام . فإذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا ، نحن المصليات وما صليتن ،

فتاة تخرج من قبرها لتخبر الناس بما

رأته من العذاب بسبب عدم ارتدائها للحجاب

هذه قصة واقعية ، وهي من حيث الإمكان - بالمعنى الفلسفي - ممكنة الوقوع لا ممتنعة ، ومن حيث الجانب العقائدي فإنها تدخل في باب اللطف الإلهي ، الذي يعرفه أصحاب العقائد : بأنه الأمر الذي يقرب العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية ، ومثاله : بعث الانبياء ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب السماوية ، وتنصيب الائمة الهداة ، الذي يكون الإنسان بدونه - أي بدون هذا اللطف - ضائعاً وسط "نفس" أمارة بالسوء ، و "عقل" له قدرات محدودة .

والمثال السابق من اللطف ، هو اللطف الواجب على الله ، لأن بدونه ، أي بدون اللطف الواجب ، لا يتحقق الغرض ، وهو معرفة الانسان بربه بشكل صحيح ، وكذلك معرفة أوامره ، وبالتالي نيل ثوابه ، وتجنب عقابه .. ومعنى قولنا إن هذا اللطف "واجب" على الله ، أي أنه لا ينفك عن كماله ، لأن "الغني" "الكامل" لا يمكن أن يترك مخلوقه "الفقير" "الناقص" وسط هذا المتراكم من "النفس" و "الغريزة" و "المحدودية" .. فحال الله معنا كحال أحدنا إن كان مبصراً ورأى رجلاً أعمى يريد أن يعبر الشارع ، فإن كمال عقله وشدة تعاطفه تدعوانه لأن يساعد هذا "الضرير" في عبوره ، وإيصاله إلى الجانب الثاني من الشارع بسلام .. مع ملاحظة وجود الفارق بين المثالين ؛ إذ أين لطف الفقير بالفقير من لطف الغني بالفقير!!؟؟ ..

ولم يتوقف "اللطيف" الإلهي عند هذا الحد "الواجب" بل امتد إلى درجة أن يُري أهل الدنيا "شؤون الآخرة عياناً ليزدادوا إيماناً و يقيناً بأنّ ما قاله الخالق - سبحانه - في كتابه العزيز هو الحق ، وهو واقع لا محالة !!.. ولا يُمكن أن يقال إنّ ملائكة الله الكرام قد أخطأوا في قبض روح أحدٍ من الناس لم يكن مقصوداً بالذات ، بل الأمر كما ذكرنا هو من باب اللطف الإلهي في جذب الناس الى ساحة الحق أكثر فأكثر .. فإنّ عودة الناس للحياة الدنيا بعد موتهم لها شواهد كثيرة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) ، البقرة - ٢٤٣ ، وقد كان عددهم سبعين ألفاً .

ومنه قوله تعالى : { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ } البقرة - ٢٥٩ . والمراد به "عزير" عليه السلام .

وقال تعالى في قصة المختارين من قوم موسى لميقات ربه : "ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون" .. وراجع كذلك قصة اصحاب الكهف الذين رجعوا إلى الحياة الدنيا بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم الله .. إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت في هذا الشأن ..

ومكان قصتنا هذه هي إحدى " النواحي " في مدن الشمال الغربي من العراق . حيث بدأت "سلمى" - ولنسميها كذلك لسلامتها ونجاتها كما

افترشناه ، وإن مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف . فقال النبي يا سلمان إنّ ابنتي في الخيل السوابق . ثم قالت يا أبت ما الذي أبكاك ، فذكر لها ما نزل به جبرائيل من الآيتين المقدمتين . قال: فسقطت فاطمة على وجهها وهي تقول الويل ثم الويل لمن دخل النار ، فسمع سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار ، وقال عمار بن ياسر: يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن عليّ حساب ولا عقاب ولم اسمع بذكر النار ، وقال علي: يا ليت السباع مزقت لحمي ، وليت أُمي لم تلدني ولم أسمع بذكر النار . ثم وضع عليّ يده على رأسه وجعل يبكي ويقول واسفراه وا قلة زاداه ، في سفر القيامة يذهبون ، وفي النار يترددون ، وبكلايبب النار يتخطفون ، مرضى لا يعاد سقيهم ، وجرحى لا يداوي جريحهم ، وأسرى لا يفك أسيرهم ، من النار يأكلون ، ومنها يشربون ، وبين أطباقها يتقلبون ، وبعد لبس القطن والكتان مقطعات النيران يلبسون وبعد معانقة الأزواج مع الشياطين مقرنون . انتهى

نعم ، هذه هي حال النار وما فيها من صور مرعبة ولكننا نقول توجد أمام هذه الصور المرعبة من "النار" وأهلها العاصين لله والمستكبرين على أوامره والذين قضوا وقتهم في الدنيا باللامبالاة وعدم الإمتثال ، توجد هناك صور جميلة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أعدّها الله لأهل " الجنة " لحسن امتثالهم وتطبيقيهم لأوامره سبحانه.

النحاس، ما يرى أن في النار أحداً أشدّ عذاباً منه ، وما في النار أحد أهون عذاباً منه !! " (١١١).

* * *

فاطمة الزهراء (ع) يغشى عليها

عند سماعها بخبر النار

وجاء في كتاب (زهد النبي- ص -) : أنه لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) : " وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " الحجر ٤٣- ٤٤ . بكى النبي (ص) بكاءً شديداً، وبكت صحابته لبكائه ، ولم يدروا ما نزل به جبرائيل ، ولم يستطيع أحد من أصحابه أن يكلمه ، وكان النبي إذا رأى فاطمة فرح بها فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها ، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول وما عند الله خير وأبقى ، فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي وبكائه ، فنهضت والتفت بشملة لها خلقة وقد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل ، فلما خرجت نظر الصحابي سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى ، وقال واحزنانه إن قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد عليها صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً . فلما دخلت فاطمة على النبي (ص) قالت يا رسول الله أن سلمان تعجب من لباسي ، فوالذي بعثك بالحق نبياً مالي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بغيرنا فإذا كان الليل

(١١١) - بحار الانوار ٨ : ٢٩٥ .

سيأتي - تعاني من مرض أخذ من صحتها الشيء الكثير ، وتركها طريحة الفراش ، وموضع تألم الأهل والأقارب لما تمر به من حال ، ولما يذوي من نضارتها وهي ما زالت ابنة الخامسة عشرة من عمرها .. واشتدت بها الآلام حتى ظهرت عليها علامات "الاحتضار" وبين هلع الأهل ، وحسراتهم عليها ، فارقت روحها الجسد واستسلمت لرقاد طويل .

أسرع الأهل بها الى "المستشفى" الرئيسي في المدينة .. فأكد الأطباء لهم موتها .. وعند ذلك حملها الأهل وهم يرونها "ميتة" لا حراك فيها ولا حياة الى مقبرة قريبة ودفنوها هناك .

وتمضي الأيام .. وإذا بأخ لـ "سلمى" أكبر منها ، يعمل ضابطاً في الجيش ، يرى "رؤيا" بعد أربعين يوماً من دفن (سلمى) ، أهالته وأرعبته وجعلته ينهض من فراشه فزعاً .. فقد جاءته "سلمى" في المنام وهي تقول له : إني حية ، إني لست ميتة ، تعال وأخرجني من قبري .

ولم يستسلم "أخو سلمى" لهذه الرؤيا ، ولم يأخذ بها ، واعتبرها أضغاث أحلام ، راودته نتيجة لتفكيره بأخته التي ماتت قبل فترة قصيرة .

وتتكرر الرؤيا في اليوم الثاني ، وبتوسل أكثر ، فقد جاءته "سلمى" هذه المرة وهي تطالبه بإخراجها من القبر ، وتقول له : أرجوك تعال وأخرجني .. لا تتركني في القبر ؟..

وكذلك لم يستسلم الأخ لهذه الرؤيا ، ولم يأخذ بها . وفي اليوم الثالث جاءته (سلمى) وقالت له : إن لم تأت وتخرجني من قبري فإني سأبقى آتيك في منامك إلى آخر يوم من حياتك !!..

فنهض "الأخ" هلعاً .. وصمَّ على الذهاب إلى "المقبرة" ونبش قبر أخته وإخراجها منه ، لكي يقطع الشك باليقين في صحة هذه الرؤيا من عدمها .. فخرج في هدأة الليل لوحده ، فهو لم يشأ أن يخبر أحداً بالأمر ، خشية أن يتهمة أحد بالجنون أو الهلوسة ، حاملاً معه "معوله" و "فانوسه" ، واتجه صوب المقبرة .

وعند وصوله إلى "قبر" أخته ، جلس عنده وأخرج من جيبه "المصحف الشريف" وأخذ يقرأ بعض الآيات ، يستعين بها على رباطة الجأش لقلبه...

ثم بعد ذلك بدأ بحفر قبر أخته ، وعند وصوله إلى مكان "اللحد" نزل في القبر ، وأزال الأحجار التي كانت تغطي "اللحد" واستخرج "جثة" اخته مع كفنها ، ورفعها خارج القبر .. وأراد أن يتأكد من صدق "الرؤيا" وتكررها المريب عليه ، وهل أن أخته هي "حية" حقاً ، أو أنها "ميّنة" .

فقرب أذنه من موضع "القلب" وأدناها منه كثيراً ، فإذا به يسمع دقات القلب !! ، فاضطرب للأمر ، وفتح إثر ذلك غطاء الكفن من جهة الرأس ، وكشف عن الوجه ، فإذا به يرى عيني أخته مفتوحتان ، ورمشيها يتحركان ، فدهش وفزع .. إلا أنه لاحظ أن رقبة "أخته"

أهون أهل النار عذاباً

وجاء عن الامام جعفر الصادق عليه السلام أيضاً: " أن في النار لئاراً يتعوذ منها أهل النار ما خلقت إلا لكل متكبر جبار عنيد ، ولكل شيطان مريد ، ولكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، وكل ناصب بالعداوة لآل محمد - عليهم السلام - . وجاء في أمالي الصدوق عن عمر بن ثابت عن الباقر عليه السلام قال : " إن أهل النار يتعاونون كما تتعاون الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب . ما ظنك يا عمر بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، عطاش فيها جياع ، كليله أبصارهم ، صمّ بكمّ عمي ، مسوّد وجوههم خاسئين نادمين ، مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يخفف عنهم ، وفي النار يسجرون ، ومن الحميم يشربون ، ومن الزقوم يأكلون ، وبكلايبب النار يحطمون ، وبالمقامع يضربون ، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون . فهم في النار يسحبون على وجوههم ، ومع الشياطين يقرنون ، وفي الأنكال والاعلال يصفدون ، إن دعوا لم يستجب لهم وإن سألوا حاجة لم تقض لهم ، هذه حال من دخل النار" (١١٠).

وعنه عليه السلام أيضاً: " إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار ، عليه نعلان من نار ، وشراكان - ما يشدّ به نعليه - من نار ، يغلي عنها دماغه كما يغلي المرجل أي القدر من

(١١٠) - الأمالي - للصدوق - ٦٥١ .

وعن الامام الكاظم عليه السلام في حديثه لإسحاق بن عمار ، قال : يا إسحاق إنّ في النار لواد يقال له سقر ، لم يتنفس منذ خلقه الله تعالى ، لو أذن الله عز وجل له في التنفس بقدر مخطط لاحترق ما على وجه الأرض . وإنّ أهل النار ليتعودون من حرّ ذلك الوادي ومنتنه وقذره ، وما أعدّ الله فيه لأهله (١٠٧).

* * *

الفرق بين نار الدنيا ونار الآخرة

روي السيد ابن طاووس عن علي بن النّبي (ص) قال : والذي نفس محمد بيده لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض لساخت إلى أسفل أرضين ولما أطاقته فكيف بمن هو طعامه . والذي نفسي بيده فلو أنّ قطرة من غسلين قطرت على جبال الأرض لساختها إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف بمن هو شرابه . والذي نفسي بيده لو أنّ مقمعا واحداً ممّا ذكره الله في كتابه لو وضع على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة في النار (١٠٨).

وروي عن الامام الصادق عليه السلام : "أنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ، وقد أطفئت سبعين مرة بالماء ثم التهبت ، ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطيقها" (١٠٩).

(١٠٧) - روضة الواعظين : ٥٠٧ .

(١٠٨) - الدروع الواقية : ٢٧٤ .

(١٠٩) - بحار الأنوار ٨ : ٢٨٨ .

كانت سوداء ، مع أنّ أخته بيضاء البشرة . وأنّ الشّعْر عليه علامات حرق شديد ..

وبعد أن تيقن من "حياة" أخته ، حملها على ظهره ، وأقبل بها إلى المنزل ، والوقت ما يزال ليلاً ، وأدخلها في غرفة خاصة له ، ووضعها على سريريه ثم فتح "الكفن" عن يديها وأعلى صدرها ، فإذا به يراها "أسودين" وعليهما علامات الحرق .. والصدر في أعلاه عليه علامات من الحرق كأنه أُدخل في "فرن" ذي حرارة عالية جداً من شدة السواد الذي يراه عليه .

لم يسألها عن شيء ، ولم يكلمها ، مع أنّ عينيها كانت تراقبه في تحركاته ، وتدور معه حيثما دار !!

وعند طلوع الفجر ، استيقظ "الأب" للصلاة ، فرأى حركة مريبة في غرفة أبنه ، فأقبل وفتح باب الغرفة ، وإذا به وجهاً لوجه مع أبنته التي "ماتت" منذ أربعين يوماً ، فدهشته المواجهة ، واستولت على شيء من عقله ، واعتقلت لسانه إلى فترة ، ثم عاد إلى طبيعته بعد ذلك ، أي بعد فترة زمنية استغرقت شهراً كاملاً ...

وأخذ "أفراد" العائلة بعد ذلك واحداً بعد الآخر يتقبلون الأمر شيئاً فشيئاً ، ويقول بعضهم لبعض (إنّ قدرة الله ليس لها حدود) ، و(أنّ الله حكمة فيما فعل) ..

إلا أنّ "سلمى" لم تتكلم إلّا بعد أيام ، فقد كانت تعاني من "ثقل" في لسانها ، ولعل "لسانها" اعتُقل إثر ما شاهده من مشاهد الآخرة !!

وأول ما قالته لهم حين تكلمت ، بأن حكّت لهم قصتها ، فقالت : إنّ رُوحِي حين خرجت من جسدي نُقلت مباشرة إلى مكان واسع عظيم ، فيه صفوف طويلة يقف الناس فيها .

وإنكم إذا رأيتم هذه الصفوف ، وأعداد الناس التي فيها ، والاعداد التي تنتقل إليها ، حسبت أنّ الدنيا قد خلت من أهلها ، وأنّ الجميع قد جاءوا إلى هنا ، ثم حُمِلْتُ كتاباً بيدي ، لا أعرف كيف حُمِلَتْه ، ثم وقفت في أحد هذه الصفوف التي يقدم كل صف منها على "مَلَكِين" أمامهما "كتاب كبير" فيه أسم كل شخص وأسم أبويه وما عمله من عمل .. وعندما بلغني الدور ، أقبلت إلى هذين (الملكين) وسلّمتهما الكتاب الذي بيدي فقالا لي : أنّه لا يوجد عندك ذنباً كثيرة ، فأنت تصلين .. إلّا أنّ عندك ذنباً واحداً يحاسبك الله عليه ، وهو عدم ارتدائك للحجاب وقد كنت مكلفة بإرتدائه ، وعليه يجب أن تتألمين جزاءك ..

وأشارا إلى أحد الملائكة بأخذي ، فجاء هذا (المَلَك) وساقني سوقاً شديداً ، فقلت: إلى أين ؟ قال: إلى جهنم .. وعند ذهابنا صوب (جهنم) احسست بحرارتها وأنا على مسافة منها^(١٠١).. وسلّمني هذا المَلَك إلى زبانية جهنم ، وهم غلاظ شداد ، لا يوجد للرحمة عندهم

(١٠١) - جاء في الحديث النبوي بأنّ ريح جهنم وحرارتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام .

كالمهل يشوي الوجوه " الكهف - ٢٩ ، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار ، كلما أحترق جلده بُدِّلَ جلدًا غيره .

سادسها : هي السعير ، فيها ثلثمائة سراق من نار ، في كل سراق ثلثمائة قصر من نار ، وفي كل قصر ثلثمائة بيت من نار ، وفي كل بيت ثلثمائة لون من عذاب النار ، فيها حيات من نار ، وعقارب من نار ، وجوامع من نار ، وسلاسل من نار ، وأغلال من نار ، وهو قول الله عز وجل " إنّنا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالاً وسعيراً " .

وسابعها : جهنم ، وفيها الفلق ، وهو جب - بئر - في جهنم إذا فتح أسعر النار سعراً وهو أشدّ النار عذاباً . وفي معاني الاخبار سئل الامام الصادق عليه السلام عن معنى الفلق فقال عليه السلام: صدّع - شق - في النار فيه سبعون ألف دار ، وفي كل دار سبعون ألف بيت ، وفي كل بيت سبعون ألف أسود - ثعبان - وفي جوف كل أسود سبعون ألف جرة لا بدّ لأهل النار أن يمروا عليها^(١٠٥). وعن الإمام الباقر عليه السلام إنّ في جهنم لواد يقال له غساق فيه ثلاثون وثلثمائة قصر ، وفي كل قصر ثلاثون وثلثمائة بيت ، في كل بيت ثلاثون وثلثمائة عقرب ، في حمة كل عقرب ثلاثون وثلثمائة قلّة سم ، لو أن عقرباً منها نفحت سمها على أهل جهنم لوسعتهم سماً^(١٠٦).

(١٠٥) - معاني الأخبار - للشيخ الصدوق - : ٢٢٧ .

(١٠٦) - بحار الأنوار ٨ : ٣١٤ .

ودخانها ولهيبها ، وإذا استغاثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل أي النحاس المذاب يشوي الوجوه لحره فبئس الشراب وبئس المتكأ .

دركات النار السابعة

جاء في كتاب "حق اليقين" في قوله تعالى : "وإن جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم" الحجر - ٤٤ .
إن الله جعل النار سبع دركات أعلاها الجحيم ، يقوم أهلها على الصفا منها (١٠٤) ، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها .

وثانياً : " لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى " المعارج - ١٧ .

وثالثها : سقر ، "وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواءة للبشر عليها تسعة عشر " المدثر ٢٧ - ٣٠ .

ورابعها " الحطمة " ومنها يثور " شرر كالقصر كأنها جمالة صفر " تدق كل من صار إليها مثل الكحل ، ولا تموت الروح فيها ، كلما صاروا مثل الكحل عادوا .

وخامسها : "الهواية" فيها مأى يدعو يا مالک - خازن النار - اغثنا ، فإذا اغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد يسيل من جلودهم كأنه مهل ، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها ، وهو قول الله عز وجل " وأن يستغيثوا يغاثوا بماء

(١٠٤) - الصفا هو الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت عليه .

موضع .. فأخذني "الزبانية" (١٠٢) . أخذاً شديداً ، وبدأوا بتعذيبى وإهانتى لأننى عصيت الله رب العالمين .

واستمر التعذيب والحرق للمناطق التي كانت تظهر من جسمي ، والتي كنت شرعاً مأمورة بسترها ولم أسترها كالشعر والرقبة والذراعين والساقين .. وبقيت على هذه الحال أربعين يوماً ، لا ينقطع عني العذاب ، إلى أن جاء النداء من أعلى : أن اتركوا "فلانة" فإن لها فسحة في الحياة الدنيا بعد !! .

فرُفع العذاب عني .. وسُمحَ "لروحي" بالخروج ، فأتيت الى أخي ، وصرت أطلب منه أن يخرجني من القبر .. وكانت روعي ساعة أقبل أخي إلى القبر تدور حوله ، وما أن أخرج الجسد إلى خارج القبر حتى عادت الروح إليه .

ثم تحدثت "سلمى" بعد ذلك عن مشاهد أخرى شاهدها في مجتمع الآخرة - أعاننا الله على القدوم على ذلك المجتمع لا مقصرين ولا غافلين - .

وأخذت الناس بعد ذلك تسمع بـ "سلمى" فبدأت تقبل إليها تباعاً تباعاً ، تسألها عن قصتها وعن مشاهد الآخرة .

وبعد فترة من الزمن أخذت آثار "السواد" تذهب عن جسد "سلمى" ، وأخذت بشرتها البياض تعود للظهور .. ويقول المقربون من "سلمى"

(١٠٢) - الزبانية عند العرب الشُّروط وسمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار (انظر مختار الصحاح : ٢٦٨) .

أنّها أصبحت "متدينة جداً" ، لا تتسامح في حجابها ، ولا تظهر خصلة واحدة من شعرها ، ولا تترك صلاة الليل .. وأنه قد تقدم لخطبتها الكثير من الشبان ، وهي تفكر في اختيار الرجل المناسب لها بينهم .

صور من "جهنم" ..

سنلتقي بها المسلمة اذا بقيت غير محجبة !!

لعلّ "سلمى" لم تطلّع على جميع ما في نار جهنم ، وبما أن دفع الضرر واجب ، أذكر هذه الصور عن نار "جهنم" التي نقلها لنا الوحي وأخبرنا بها النبي (ص) وما جاء على لسان الائمة - عليهم السلام - ، كي تستطيع المرأة المسلمة غير المحجبة إلى المسارعة في دفع الضرر عن نفسها ، ودرء الخطر الذي ينتظرها ، ولتتال السلامة في الدنيا والآخرة ، وذلك حين تمتثل أوامر الله سبحانه وتعالى وتبتعد عن مناهيه ، ولتعلم أنه الحق الذي قال فيه المولى سبحانه: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} (١٠٣).

شئ من أوصاف جهنم:

قال الله تعالى : " أتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " البقرة- ٢٤ . والمراد بالحجارة كما هو المشهور بين المفسرين أنه حجارة الكبريت لأنه أحرّ شئ إذا حميت .

وقال تعالى : " إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا " الكهف - ٢٩ .. وقد شبه الله تعالى ما يحيط بالظالمين من النار بالسرادق أي أن ما يحيط بهم من كل جانب هو نار جهنم

(١٠٣) سورة الذاريات : الآية (٢٣) .

الموضوع	رقم الصفحة
التبرج.. والزينة.. تفعلهما النساء بوحى من ابليس !	٧٨
الجاهلية الاولى.. والجاهلية الثانية	٧٩
استجواب الشيطان فى حضرة النبى (ص)	٨١
مواقف مع الحجاب	٨٤
لقاء بين صديقين بعد عشر سنوات !!	٨٤
لمن قرنى الغزال للابنة أم للاب؟!	٨٧
صوت الحق يهدر فى (كلية التربية)	٨٨
(بوليت) الفرنسية، تصير مسلمة.. وترتدي الحجاب.. وتتحدى كل الصعاب	٩١
فتاة تخرج من قبرها لتخبر الناس بما رأتها من العذاب بسبب عدم ارتدائها للحجاب	١١١
صور من جهنم ستلتقى بها المسلمة إذا بقيت غير محجبة!	١١٩
دركات النار السبعة	١٢٠
الفرق بين نار الدنيا ونار الآخرة	١٢٢
فاطمة الزهراء (ع) يغشى عليها عند سماعها بخبر النار	١٢٤
المؤمنات فى الدنيا يغلبن نساء أهل الجنة	١٢٦
مقاطع من كتاب (فاطمة الزهراء وتر فى غمد)	١٢٧

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية / النجف الاشرف

ونحن الصائحات فما صمتن ، ونحن المتوضئات وما توضيتن ،
ونحن المتصدقات وما تصدقتن ، فغلبنهن والله .

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قيل له جعلت فداك عن المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا محمد إن الله حكم عدل ، إن كان هو أفضل منها خيّر هو . فإن اختارها كانت له زوجة . وإن كانت هي خيراً منه خيّر لها ، فإن اختارته كان زوجاً لها^(١١٢)..

(١١٢) - تفسير مجمع البيان - للطبرسي - ٩ : ٣٥١ .
* - سليمان كتاني : كاتب مسيحي لبناني ، أشترك في المسابقة التي أقامتها مكتبة العلمين في النجف الاشرف عن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين - عليها السلام - ففاز كتابه "فاطمة الزهراء وتر فى غمد " بالجائزة الأولى .. وهكذا كانت الزهراء - عليها السلام - = بعفتها ووقارها وحجابها محط إعجاب البشرية جمعاء من مختلف الأديان والمذاهب، فلتتخذها المرأة الإنسانية مثلاً لها لتقتفى أثرها على خط الطهر والعفاف .

الى "شيماء":

مقاطع من كتاب فاطمة الزهراء "وتر في غمد"

وفي الأخير أهدي هذه المقاطع من كتاب سليمان كتاني "فاطمة الزهراء وتر في غمد" * إلى تلك الفتاة المؤمنة "شيماء" التي اتخذت الزهراء - عليها السلام - مثلاً لها تقتدي به في الحياة ، ولم تجعل مثالها ممثلة فاجرة أو مطربة فاسقة كما هو حال الفتيات الضائعات في هذا الزمن الردي ، والتي قال لها شياطين البشر وانباء الجاهلية الثانية يوماً : تخلي عن حجابك ، فقالت: الحجاب بالنسبة للمرأة كشرافها فمن تخلت عن حجابها تخلت عن شرفها .

مقطع من مقدمة الكتاب^(١١٣):

ولدت - فاطمة - بعد مبعث الرسول الأكرم (ص) بخمس سنوات أي قبل الهجرة بثمانية سنوات ، وهي آخر أولاد رسول الله (ص) من خديجة ، ولدت في مكة في بيت الوحي والجهاد وفي أجواء الصبر والصمود وتحمل المشاق ، وترعرعت في غمار العواطف الصادقة والحب الطاهر المتبادل بين رسول الرحمة وبين خديجة التي ما نسي النبي عواطفها واخلصها طيلة حياته .

هاجرت بعد رسول الله (ص) من مكة الى المدينة مع الأخريات من أهل بيت النبي وبرعاية علي بن ابي طالب والتحقوا جميعاً بموكب الهجرة في منزل قبا بالقرب من المدينة .

١١٣ - كتب هذه المقدمة الإمام المغيب ، السيد موسى الصدر.

الفهرست	
رقم الصفحة	الموضوع
٦	تحية وإهداء
٨	التمهيد
١٥	واقع المرأة قبل الإسلام وبعده
١٨	المرأة قبل الإسلام
٢٣	المرأة في ظل الإسلام العزيز
٢٣	تكريم المرأة على الصعيد الاجتماعي
٢٨	تكريم المرأة على الصعيد المالي
٢٩	تكريم المرأة على صعيد العمل
٣٢	الحجاب واجب على المرأة بدليلي القرآن والسنة
٣٣	النصوص المشرعة للحجاب في الإسلام
٣٦	آية الحجاب
٤٥	شروط الحجاب
٤٧	فتاوى الفقهاء
٥١	حكمة الحجاب
٥١	النقطة الاولى:تحقيق التوازن النفسي
٥٥	النقطة الثانية:تحقيق الترابط الاسري
٥٦	النقطة الثالثة:تحقيق التماسك الاجتماعي
٥٩	النقطة الرابعة:تحقيق رفعة المرأة واحترامها
٦٢	الحجاب بين سؤال وجواب
٦٧	أعظم المصائب التي مرت على أهل البيت (ع) هو خروج نسائهم أمام الناس بعد وقعة كربلاء
٧٢	قبسات من نور "الحوراء"
٧٥	نموذج من تربية أهل البيت (ع) "فضة" خادمة الزهراء

يا ابنة المصطفى - يا ابنة ألمع جبين رفع الارض على منكبيه واستنزل السماء على راحتيه ، عشت الكبر في انتساب الكبر الى سماواته ، فهانت عليه الارض يا عجينة الطهر والعبير ، ولم تبتسمي لها إلا بسمتين ، بسمه في وجه أبيك على فراش النزاع يعدك بقرب الملتقى ، وبسمه طافت على ثغرك وأنت تجودين بالنفس الأخير .

عشت الحب يا أنقى قلب لمستته عفة الحياة ، فكان لك الزوج العظيم الأنوف ، لف جيدك بالدراري ، وفرش تحت قدميك ازغاب المكارم .

وعشت الطهر يا أظهر أم انجبت ريحانتين لفتهما برده جديهما بوقار تخطى العتبات وغطى المدارج .

ثم تركت الارض عن بسمه هزء بها فإذا هي تشتد أوتارها إليك من جيل الى جيل ، كأنّ اطلابها اياك هو تعطش السراب الى الندى .

وانبزغت من تحت الكفن كما تنبزع السنبله من حفنة التراب اضطراد نمو واشواق خصب - يا هجمة الغيث في قلب الغمام .

يا ابنة النبي .

يا زوجة عليّ .

يا أم الحسن والحسين .

وتزوجت من علي بن ابي طالب في السنة الثانية من الهجرة وهو في الثالثة والعشرين من عمره يعني حينما بلغت العاشرة ، وقد أكد النبي لأصحابه أن تفضيل عليّ من بين الخاطبين أكثر لفاطمة ، كان بنصيحة من الغيب ولعدم رضاها بغير عليّ .

ولقد رضيت به دون سواه بالرغم من محاولات كثيرة بذلها النساء في المدينة حيث نصحن فاطمة بعدم الإقدام على الزواج من عليّ لفقره ولانصرافه للجهد المستمر ولصلابته في ذات الله .

عاشت الزهراء - عليها السلام - مع علي ثمان سنوات حياة مثالية هي عنوان الحياة الزوجية وانجبت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ومحسن الذي أجهضته بعد وفاة أبيها في الأحداث المؤلمة التي حدثت آنذاك .

وتوفيت بعد وفاة أبيها بأشهر قليلة ودفنت في مكان مجهول حسب وصيتها ، وأن دفنها وتشيعها حصلاً سراً وفي الليل تنفيذاً لرغبتها ، وبعض الآثار التاريخية والأحاديث المأثورة تؤكد أنّ قبرها في أحد الأماكن الثلاث : في البقيع أو في بيتها الملتصق في زماننا هذا بقبر النبي (ص) أو في الروضة الشريفة التي هي بين محراب الرسول وقبره والتي تتميز الآن بأعمدة خاصة .

أمّا عمرها فيبلغ ثمانية عشر سنة وأشهر وهو عمر قصير ولكنه مثال كامل شامل لحياة المرأة التي يريد الله ويسعى لتحقيقها دين الله .

فاطمة والمحراب

يقول الحسن بن علي - سلام الله عليهما - : رأيت أُمِّي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشئ .

وفي سيرتها أنه كانت تخصص الساعة الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء وأنها في العشر الاخير من شهر رمضان المبارك لا تنام الليل وتحرض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء. وأنها كانت تشكو من تورم في قدميها لكثرة وقوفها بين يدي ربّها خاشعة ومتهجدة (١١٤) .

* * *

مع كتابي :

المقطع الأول :

قال (كتاني) في أوّل كتابه في رسالة الى لجنة التحكيم في المسابقة : إنّ امرأة كفاطمة : رهيفة الحس - زكية المعدن - كبيرة القلب - نيّرة اللب - حريّ أن يكتب فيها ، إبرازاً لمثال ، وتجسيداً لقدوة . إنّ المجتمعات العربية لفي حاجة لبناء الأسرة الفاضلة ، تدعيماً لكيان اجتماعي ناضج امتداداً صحيحاً لتأريخها الماضي المجيد .

(١١٤) - وجاء في (علل الشرائع) : أنّ الامام جعفر الصادق عليه السلام سئل عن فاطمة لم سميت الزهراء فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الارض . انتهى .

في تدعيم المجتمع ، نصف السعادة استقطاب واستكمال ، وميول الرجل وميول المرأة هي من معدن واحد ، تأخذ منه الحياة مزيج عصاريتها وطبخة قدرها ، فلا يجوز أن يفسد شطر من المزيجين بامتهان أو بتقليل قيمة .

هكذا تنشأ الأسرة الفاضلة ، وهكذا ينمو المجتمع الفاضل :-
نظرة صحيحة وتطبيقاً صحيحاً ، وانتاجاً صحيحاً ، وكان لفاطمة البيت الصحيح الذي تركّز على نظرة صحيحة ، ولقد وجد عليّ في فاطمة تكميل نفسه فاطمناً وراح يعمل من وحي هذه الطمأنينة باندغام ، وجد استجابته قبل أن يتم تأليف البيت ، لولا ذلك الاقتناع الموحى من قبل لما تمت بينه وبين فاطمة هذه الوحدة التي لم يفترطها إلاّ الموت .

* * *

المقطع الرابع :

واخيراً - هويت فاطمة - هوى معك الخصر النحيل ، يا نحول السيف - يا نحول الرمح - يا نحول الشعاع في الشمس - يا نحول الشذا - يا نحول الارهاف في الحس - يا نحول العزة تتوارى خلف الخطوط في الجبين - يا نحول المجد يتخبأ في غمد حسام مقصوف - يا نحول البطولة ترسف في قيد من تراب - يا نحول البهاء تتلقط في زجاجة دكناء - يا نحول الله في عتمة البصائر ...

لقد عشت الارهاف - يا أرهف امرأة عرفها التاريخ :

إرهاف هو من امتشاق الحسام لمعانه .

تزال بعد تداعب طيف الحب في قلبها ومحمد غائب بالقافلة بين مكة والشام .. وجدته وهي جنين في الحشا تتلمس أمها بها خاضعتها مع الليالي الطوال بمناجاة كأنها اعذوبة الأحلام .. وجدته مع أول شعاع أبصرته بعينيها بعد هبوطها الى حضن الرفيق .. وجدته مع قطرة الرضاع حاملة كل أشواق الأمومة .. وجدته في طفولة بريئة قفراً من حضن الى حضن ومن عنق الى زند ، بين أم حانية ذائبة وأب وادع حالم ، واخوات ناعمات راغداد ، ورفيق تطوف في عينيه لمعة سيف .. وجدته في فتوتها تتفتح على أسرار الحياة فهماً وتيسير فهم ، وحساً وترهيف حس ، وشموخاً وتعزيز شموخ .

لقد تولد لفاطمة في هذا الجو الرائع رأي شخصي حر ، هو كل ما أمّنه لها مناخ البيت .. لقد كان يسأل النبي في قضية فيجيب : " لنأخذ أولاً رأي فاطمة " هكذا كان لفاطمة رأي في تربية صحيحة ، كانت لشخصيتها فيها تلك التنمية .

ولم تخب التربية بمقدار ما توفرت أجابت :- توفرت غزيرة وأجابت غزيرة .. هكذا تزوجت فاطمة .. رجوعاً الى رأيها ، واقتناعاً منها بصدق الرجل الذي تزوجته .

لم تكن تحب .. كما أفصح عن نظرتها ذات مرة لأبيها : " أن ترى رجلاً " ، رأياً منها بأن المرأة إذ تعتبر سلعة وتحقيق شهوة الرجل تتدنى مرتبتها في الحياة وتتحط ، في الوقت التي هي فيه نصف الحياة في جد الحياة ، نصف البيت في تكوين البيت ، نصف المجتمع

بين يديكم هذا القصد مني ، فإن يكن التوفيق ، فلكم مني الشكر على إتاحة الفرصة ، ولفاطمة الزهراء فضل جلوة خاطر .

ثم قال :

الى كل امرأة

تفتش :

عن مروود...

عن قارورة طيب ..

عن ريشة خضاب ..

أقدم فاطمة الزهراء

المقطع الثاني :

إيه فاطمة ...

يا ثغراً تحلى بالعفاف فطاب رضابه ،

ويا عنقاً تجمل بالمكرمات فذكا إهابه ،

لقد عبق خطّ وصلك ببنت عمران - يا ابنة المصطفى .

فتلك مريم - ما فرشت الارض إلا من نتف الزنايق .

وأنت النفحة الزهراء ، ما نفتت الطيب إلا من مناهل الكوثر .

والخطّ خط الطهر والعفاف - ما زنر الارض إلا خفف ارهاقها ، ولا

عانق الأجيال إلا لَوّن آفاقها.

والأرض - لولا هذا الأثير - يغمرها - تأجن

والزمن - لولا هذا العبير يرشفه - يأسن

يا بتول - يا أم أبيك^(١١٥)...

لقد كانت النبوة طفلك البكر :

داعبته بيد - قبلته بغم - عانقته بعين - رافقته بقلب - حضنته بروح
- ضمته بشوق .. فاشتعلت بين حناياك أشواق السماء - والتهبت
في محجريك أثقال المعاني .

لقد ذاب التراب في المصهر - يا ابنة الجنة ...

هكذا - يا ابنة أبيك - أصبحت الوصية ...

يا طيب الامومة ،

يا مشتهى العفة - يا طهارة المردن ،

يا نحيلة .

أي فتى هو فتاك - ما اندغمت في رحابه إلا كما يندغم النور في
كأس شفيف ...

يا عناق الحب - يا وصلة العمر - يا امتزاج المسك بالعنبر - يا
اعتصار الشوق من قلب العفر - يا أم ريحانتين جسداً أشواق النبوة .
يا أبنة البقيع ...

يا كبرياء النفس في عنوان الخفر ...

(١١٥) - ذكر أرباب السير أن النبي (ص) كنى ابنته فاطمة الزهراء (ع) بـ "أم أبيها" لما أبدته من جهد مخلص في سد الفراغ العاطفي الذي يزعج النبي (ص) بفقده لأبويه وينعكس على قلبه الرهيف المشتاق الى الحب .. وقد كان النبي (ص) يعامل ابنته فاطمة معاملة الأم فيقبل يدها ويبدأ بزيارتها عند عودته الى المدينة ويودعها وينطلق من عندها الى الاسفار والرحلات وكأنه يتزود من هذا النبع الصافي عاطفة لسفره .

آية دمعة ليس لها أن تحرق مقلتيك ، وأنت فوق ضريح ثوى فيه
محمل الكف ، وحنوة القلب ، ورنوة العين ، وهلة الجبين ودفقة
المبسم ... وهالة كالديمة موصولة العبق بغار حراء...

ومسحة كالنور فيها كل العزاء ...

وذاب حبر الوصية يا أنوف ..

وبقيت على الخط الكريم - يا عذيلة مريم ،

يا قيثاره النبي ،

يا ثورة اللحد

وياوترأ في غمد .

* * *

المقطع الثالث :

لقد رببت فاطمة في حضن أم كان الحنان يذوب من أردانها وحنان
الأم ما فاض من قلب أم إلا بمقدار ما تفيض عليها في البيت السعادة،
ولن تقاس السعادة في بيوت المتزوجين إلا بميزان واحد هو ميزان
الحب في تبادل وتفاهم وانسجام .

فالبيت - بكل ما فيه - وحدة حياتية دون تمييز أو مفاضلة ، دون
محاسبة على أخذ أكثر أو عطاء أقل ثم إجراء مناقصة أو مزايمة ..
كل ذلك بعفوية تشملها الغفلة والنسيان ، وبعطف يفرضه العقل
السليم ، نظافة وصدق وشعور ، وتلبية وتنزيه وميول .

لقد وجدت فاطمة في بيتها كل هذا غمراً موفوراً ، وجدته ، حتى من
قبل أن تنزل تكويناً في بطن أمها.. لقد مهد لها هذا الجو وأمها لا

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.